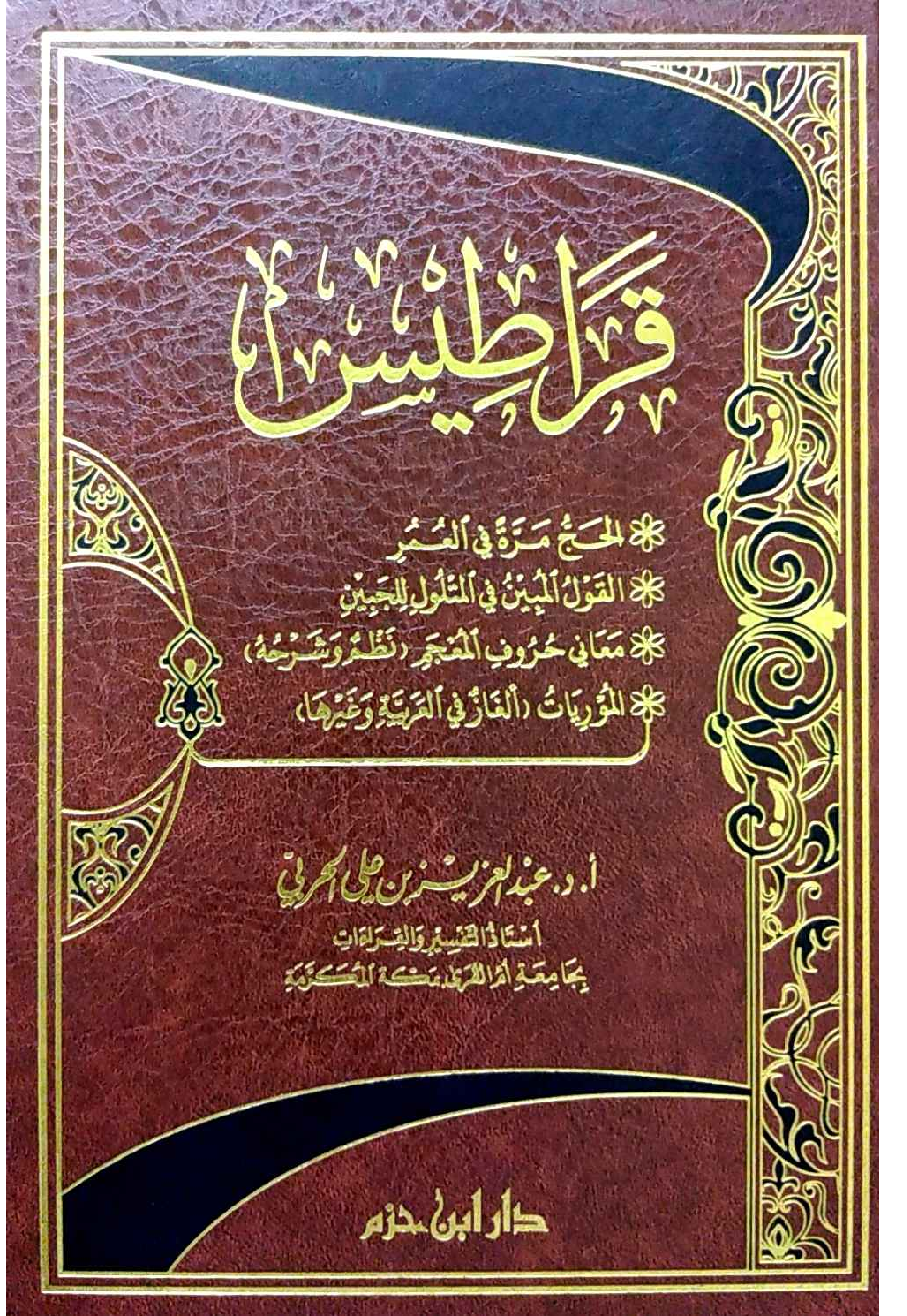

قراطيس
* الحج مرة في العمر
* القول المبين في المتلول للجبين
* معاني حروف المعجم (نظم وشرحه)
* المورِّيات (ألغاز في العربية وغيرها)
أ. د. عبدالعزيز بن علي الحربي
أستاذ التفسير والقراءات
بجامعة أم القرى بمكة المكرمة
دار ابن حزم

قراطيس

* الحجُّ مرّةً في العُمُرِ
* القولُ المُبِينُ في المتلولِ للجبينِ
* معاني حُروفِ المُعجَمِ (نظْمٌ وشرحُهُ)
* المُورِياتُ (ألغازٌ في العربيّةِ وغيرِها)

أ. د. عبد العزيز بن علي الحربي
أستاذ التفسير والقراءات
بجامعة أم القرى بمكة المكرمة

دار ابن حزم

بسم الله الرحمن الرحيم

الطَّبْعَةُ الأُولَىٰ
١٤٣٨هـ - ٢٠١٧م



ISBN 978–9959–856-60-9

الكتب والدراسات التي تصدرها الدار
تعبر عن آراء واجتهادات أصحابها

دار ابن حزم

بيروت – لبنان – ص.ب : 14/6366

هاتف وفاكس : 701974 – 300227 (009611)

البريد الإلكتروني : ibnhazim@cyberia.net.lb

الموقع الإلكتروني : www.daribnhazm.com

مقدمة

الحمد لله رب العالمين، وسلام على المرسلين.

هذه قراطيسُ تبدو اليوم في خلقٍ جديدٍ، نُشرتْ من قبل أمدٍ آحادًا، واليومَ تُلَزُّ في قَرَنٍ، وفي الجمع من المنع ما ليس في تفريق كل فريقٍ.

وهي اليومَ خيرٌ، وأحسن تنقيحًا، وموضوعاتُها مختلفة مؤتلفة، متفقة مفترقة؛ فهي صنوانٌ وغير صنوانٍ، سقيتُها بماء الشريعة والعربية.

وكانت وَقعتْ في قلوب ذوي الإنصاف موقعَ الرضا.

والأملُ الأعظمُ أن يقبلَها المولى عزَّ شأنُه.

أبو محمد

مكة المكرمة

٠١/٠٤/١٤٣٨هـ

الحج.. مرة في العمر!

(دعوةٌ إلى تركِ تَكرار الحجِّ
وإفساحِ المجال لمن لم يحجّ من المسلمِين)

أ. د. عبد العزيز بن علي الحربي

*****

﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ ۖ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ ۚ وَاتَّقُوا اللَّهَ ۖ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ۝٢﴾ [المائدة: ٢].

(قرآن كريم)

سُئل النَّبيُّ ﷺ عن الحجّ في كلّ سنة أو مرّة واحدة، فقال: «بل مرّة واحدة، فمن زاد فهو تطوّع».

(رواه أبو داود بسندٍ صحيح)

«يقول أحدُهم: أحجُّ أحجُّ، قد حججتَ! صِلْ رحمًا، نفّسْ عن مغموم، أحسنْ إلى جار».

(الحسن البصري)

«الصّدقةُ أفضلُ من حجّ التّطوع».

(أبو حنيفة، وسفيان الثّوري، وأبو عبيد الله بن الحسن، وآخرون)

«صرفُ نفقةِ حجّ التّطوع في أكبادٍ جائعة أحبُّ إليّ مِن حجّ التّطوع».

(أحمد ابن حنبل)

«مَن تركَ الاستكثار من الحجّ لقصد التّوسعة على الحجاج، وتخفيف الزّحام، فنرجو أن يكون أجرُه في التّرك أعظم من أجره في الحجّ».

(عبد العزيز ابن باز)

«زمنُ الحجّ محدودٌ، ومكانُه محدودٌ، والنّاسُ في تكاثر وازدياد، وأبوابُ التّقربِ إلى الله غيرَ الحجِّ كثيرةٌ».

(الباحث)

مقدمة

إنّ الحمد لله نحمده ونستغفره ونتوب إليه، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا.

من يهده الله فلا مضلّ له، ومن يضلل فلا هادي له.

وأشهد أن لا إله إلا الله، وحده لا شريك له، وأشهد أنّ محمّدًا عبده ورسوله.

أمّا بعد؛ فإنّ أصدق الحديث كتاب الله، وخير الهدي هدي محمّد، وشرّ الأمور محدثاتها، وكلّ محدثة بدعة، وكلّ بدعة ضلالة، وكلّ ضلالة في النّار.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ١٠٢﴾ [آل عمران].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا ١﴾ [النساء].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ٧٠ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا ٧١﴾ [الأحزاب].

لقد فرض الله الحجّ على المستطيع مرّة في العمر، وكان قدر الله أنّ رسول الله ﷺ، لم يحجّ إلّا مرّة.

وجعله المولى وفودًا إلى بيته المحرّم في هيئة مخصوصة، بأدب وسكون، من غير صخب ولا ضجيج، فنهى عن الرّفث والفسوق والجدال في الحجّ، وبشّر المخبتين: ﴿ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَٱلصَّٰبِرِينَ عَلَىٰ مَآ أَصَابَهُمْ﴾[الحج: ٣٥]، وكان النّبيُّ ﷺ يقول للنّاس في حجّته: «أيّها النّاس: السّكينة.. السّكينة»[١].

ولكن النّاظر اليوم لمشهد الحجيج، المهيب، الذي يباهي به الله ملائكته، يرى ما يُعكّر صفو ذلك المشهد، من فوضى في السّير والأداء، وتزاحم في موضع التراحم، وترك للنّظافة التي هي من الطّهور، وهو شطر الإيمان. وهؤلاء الوافدون إلى الحجّ طباعهم مختلفة، وثقافتهم مختلفة، وأفهامهم واستعداداتهم مختلفة، ولغاتهم مختلفة، وعلمهم متفاوت، ومنهم من لم يسافر، ولم يخرج من بلده إلّا هذه المرّة، فكان من العسير جدًّا أن يؤلَّف بين طباعهم، وأن يجمعَهم نظامٌ وأن يحكمَهم ترتيبٌ، ولو كانوا قليلًا، مئة ألف أو يزيدون، لكان يمكن أن يكون للتّوجيه والتّعليم والإرشاد أثر في سيرهم وعملهم وسلوكهم، ولكن الأمر فوق ذلك.

ولولا توفيق الله جلّ جلاله لهذه البلاد والمسؤولين فيها لتيسير الحجّ، وتنظيمه، وتقديم أفضل الخدمات لحجاج بيت الله، وبذل الغالي

---

(١) أخرجه مسلم (١٢١٨) من حديث جابر الطويل.

والتّنفيس في سبيل راحتهم، ولولا التّوسعات المتعاقبة للمسجد الحرام والمشاعر، لكان الحجّ متعسّرًا، بل متعذّرًا، ولكن الله شاكرٌ عليمٌ، لطيفٌ خبيرٌ، وهو بعباده خبيرٌ بصيرٌ.

وقد سعت الدّولة -أيّدها الله- إلى تقليل الحجاج، تخفيفًا على النّاس، وتمكينًا لأداء فريضة الحجّ بيسر وسهولة، وَأَمَرَتْ من كان بداخل المملكة أن يحجّ بتصريح، وكان لذلك أثرٌ عظيمٌ في تقليل الزّحام، وتنظيم السّير، وسهولة النّفْر، ويسر الإفاضة. ومن أعظم أنواع التّنظيم تفويج الحجّاج الذي أظهر محاسن النِّظام الذي حثَّ عليه الإسلام، وقلّل الزّحام وأضفى على ذلك جمالًا وجلالًا.

ولكن ما زال الأمر يحتاج إلى نوع آخر من أسباب التّخفيف وتقليل الحجاج، وهو الدّعوة إلى الاكتفاء بالحجّ مرّة واحدة، وتركِ تكرار الحجّ؛ لأنّ الله لم يوجبه إلّا مرّة في العمر على المستطيع، فكان هذا الكتاب الذي اشتمل على هذه الدّعوة، وذكَر الأدلة التي تكشف للمسلم جانبًا من فقه التّعبد يعرفه العلماء، وهو أنّ العمل قد يكون فاضلًا على غيره، ولكنه في بعض الأحوال يُصبح غيرُه أفضلَ منه، وأنّ العمل الذي ينفع غيرك أفضل من العمل الذي يكون أثره في نفسك وحسْبُ.

فقراءة القرآن فيها أجر كثير، ولكنّ تعليمه أكبر أجرًا، وصبرك على المسيء فضل، ولكن الأفضل أن تعفو عنه، وسردك للصّوم تطوعًا فضلٌ، والفطر خيرٌ منه إذا كان يفضي إلى ضعفك في أداء عملك، وأداؤك صلاة الضّحى في مكتبك حسن، وأحسن منه الالتزامُ بعملك، وقضاءُ حوائج النّاس، وإنهاءُ معاملاتهم؛ ومن يعلّم النّاسَ الخيرَ هو أفضل ممن يُعلِّم نفسه؛ ومن ينفق ماله في نشر العلم والخير والبرّ، وصلة الرّحم، وكفالة اليتيم، وإعانة من لم يتزوّج، وإطعام المسكين خيرٌ ممن يحج تطوعًا.

وقد نبّه علماء الإسلام منذ العصر الأوّل إلى مثل هذه المفاضلة، وبيّنوا أنّ الصّدقة خيرٌ من حجّ التّطوع، بل دعا بعضهم دعوة صريحة إلى ترك تكرار الحجّ في زمن لم يكن ثمّة شكوى من تزاحم ولا تدافع، ولم يكن هناك سيارات تضيق بها الطرقات. فهذا هو الإمام الحسن البصري (ت ١١٠هـ) يثرِّب على من يكثر الحجّ ويدع أعمالًا أخرى نافعة للخلق، قال رضي الله عنه: «يقول أحدهم: أحجّ أحجّ، قد حججتَ! صِلْ رحمًا، نفِّسْ عن مغموم، أحسِنْ إلى جارٍ»[1].

وفي عصرنا وأيامنا أفتى كثيرٌ من علمائنا بأنّ الأَوْلى تركُ تكرار الحجّ، وبأن أعمال الخير كثيرة، وفيها ما هو أكبر نفعًا، وأعظم أجرًا،

---

(١) سيأتي توثيقه.

وأكثر بقاءً. وسأعرض في ثنايا البحث إلى طائفة من فتاوى وكلام المتقدمين والمتأخّرين.

وقد ذكرتُ ذلك، وشرحتُ معه موضعَ الإيثار في العبادات، وفضلَ تمكين من لم يحجّ من الحجّ، وشرحتُ يسر الدّين، ورفعَ الحرج عن هذه الأمّة، وما جاء من التيسير في الحجّ خاصّة، كما بينت عددًا من البدائل التي هي من جنس الحجّ، أو متعلقة بالحجّ، أو غير ذلك، وذكرت المستَثْنَين من ترك تَكرار الحجّ، ومسائل أخرى، وجعلت الكتاب بحثًا موجزًا، ليحقق الغرض من تأليفه بيسر وسهولة.

وإنّي لأسأل الله – جلّ جلاله – أن ينفع به الإسلام والمسلمين، كما أسأله أن يرزقنا فهمًا، وأن يؤتينا حكمةً، وأن يزيدنا علمًا، وأن يجعلنا من الصّادقين المخلصين.

عبد العزيز بن علي الحربي

مكة المكرمة

١٩/ ٠٣/ ١٤٣٧هـ

رفع الحرج عن هذه الأمّة

أمّة محمّد ﷺ أمّة مرحومة، خفَّف الله عنها، ولم يكلفها إلّا وسعها، ولم يحمِّلها ما لا طاقة لها به، ورفع عنها الخطأ والنِّسيان، ووضع عنها الآصار والأغلال التي كانت على من قبلها، ولم يُرد لها في تقديره وشرعه الحرج والعسر، بل أراد الله لها اليسر والتّخفيف وأن يتوب عليها، وفي ذلك آيات محكمات.

قال الله تعالى في آية الوضوء والصَّلاة: ﴿مَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُم مِّنْ حَرَجٍ﴾ [المائدة: ٦].

وقال في أمر الإنفاق: ﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا مَآ ءَاتَىٰهَا﴾ [الطلاق: ٧].

وقال في الصِّيام: ﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلْعُسْرَ﴾ [البقرة: ١٨٥].

وقال في خاتمة سورة الحج (الآية: ٧٨): ﴿وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِى ٱلدِّينِ مِنْ حَرَجٍ﴾.

وقال في آخر سورة البقرة بعد بيان أكثر أحكام التَّكليف، من صلاة، وصيام، وحجّ، وأنكحة، وجنايات، ومعاملات، قال: ﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾ [البقرة: ٢٨٦]، وجاء بنحوها آيات أخر. وقال

سبحانه -بعد بيان طائفة من الأحكام، في الأنكحة وغيرها-: ﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُخَفِّفَ عَنكُمْ ۚ وَخُلِقَ ٱلْإِنسَٰنُ ضَعِيفًا ﴿٢٨﴾﴾ [النساء].

ورفعُ الحرج قاعدة من القواعد الكبرى في فقه الإسلام، وإنَّ الرَّجل ليُعرَف فقهُه وقوّة فهمه ورسوخه في علمه من تيسيره وتطبيقه لهذه القاعدة العظيمة.

ولو لم يكن في القرآن -أيضًا- إلَّا قوله سبحانه: ﴿فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ مَا ٱسْتَطَعْتُمْ﴾ [التغابن: ١٦]؛ لكان في ذلك أكبر تيسير، إذ جعل سبحانه أعمالنا على قدر استطاعتنا، وجعلنا حاكمين على أنفسنا في ذلك، فكلّ امرئ أعلم بقدرته وطاقته واستطاعته، ولو جعل لها حدًّا لكان في ذلك بعض مشقة لاختلاف النَّاس في الصَّبر والتَّحمل.

وفي الحديث الصَّحيح: «إذا أمرتكم بأمر فأتوا منه ما استطعتم، وإذا نهيتكم عن شيءٍ فدعوه»(١).

ولو لم يكن في ذلك كلّه إلَّا قوله سبحانه: ﴿وَلَا تَقْتُلُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا﴾ [النساء: ٢٩]؛ لكان في ذلك كفاية، وأيُّ كفاية، فقد دلَّت هذه الآية على أنَّ الله أرحمُ بنا من أنفسنا.

---

(١) أخرجه البخاريُّ (٧٢٨٨)، ومسلم (١٣٣٧).

ومن تتبع نصوص الشَّريعة، مفصَّلها ومجملها، وخاصَّها وعامَّها، وجد من الأدلة ما لا يُحصى كثرة. ومن ذلك تحريمُ الضَّرر والمضارَّة، وإباحتُه المحرَّم لذاته من الأطعمة عند الضَّرورة، والعفوُ عن الخطأ والنِّسيان، والإذنُ بالكفر باللِّسان مع اطمئنان القلب عند الإكراه، وسكوتُ الشَّريعة عن أشياء رحمةً بنا، وجعلُ الأصل هو الحلَّ لا الحرمة، وتفضيلُ اختيار الأيسر عند التَّخيير، كلّ ذلك يشهد لرحمة الله وتيسيره على أمَّة محمّد ﷺ.

تيسير الله على أمَّة محمّد ﷺ في الحجّ

الحجّ كغيره من الشَّعائر، رفع الله عنَّا الحرج فيه، كما رفعه في بقية الشَّعائر.

فالصّلاة خفّف الله فيها عن المسافر، والخائف، كما خفّف عن المريض بأن يصلِّيَ على قدر استطاعته، وعفا عمَّن نام عن الصّلاة أو نَسِيَها، بأن يصليَها إذا ذكرها.

ولم يوجب الزَّكاة إلَّا على الأغنياء، وجعلها رحمةً بالفقراء، وجعل فيها بركة ونماءً وتطهيرًا، وجعلها في صالح المجتمع وبنائه، وفي ذلك منفعة للأغنياء والفقراء. وخفَّف في الصّيامِ وجعله أيامًا معدودات، ورخَّص فيه للمسافر والمريض والعاجز بما هو معلوم.

وأظهر ما يكون التيسير ورفع الحرج في شعيرة الحجّ إلى بيت الله الحرام.. يتضح ذلك من خلال الأمور الآتية:

الأوّل: أنَّه غير واجب في العمر إلَّا مرَّة واحدة، فقد سئل النّبيُّ ﷺ عن الحجّ، فقيل له: أفي كلّ عام يا رسول الله؟ قال: لو قلت: «نعم، لوجبت، ولما استطعتم»[1].

---

(١) أخرجه البخاريُّ (٧٢٨٨)، ومسلم (١٣٣٧).

الثَّاني: أنّه جعله سبحانه واجبًا على المستطيع، ومن كان غير مستطيع سقط عنه وجوب الحجّ، مصداق ذلك قوله سبحانه: ﴿وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلْبَيْتِ مَنِ ٱسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا﴾ [آل عمران: ٩٧].

الثَّالث: «افعل، ولا حرج»، كانت هذه الكلمة هي أبرز كلمة جرت على لسان رسول الله ﷺ في الحجّ في يوم النّحر، وأكثر أعمال الحجّ هي في يوم النّحر، وتكرير النَّبيِّ ﷺ لها، دليلٌ على التيسير، وإرشاد إليه، وتعليمٌ للمفتين أن يجنحوا إلى التّيسير ورفع الحرج، ويؤكّده قول الرَّاوي في آخر الحديث: «فما سئل النَّبيُّ ﷺ عن شيء يومئذٍ قُدِّم ولا أُخِّر إلَّا قال: افعل ولا حرج»[1].

الرَّابع: التَّوسيع في الزَّمان والمكان، فهذا هو النَّبيُّ ﷺ يعلن على الملأ في المشعر الحرام بعد صلاة الفجر، ويقول: «مَنْ أَدْرَكَ مَعَنَا هَذِهِ الصَّلاةَ، وَأَتَى عَرَفَاتٍ، قَبلَ ذَلِكَ لَيْلًا أَوْ نَهارًا، فَقَدْ تَمَّ حَجُّهُ، وَقَضَى تَفَثَهُ»[2]، وقال: «عرفة كلّها موقف»، وكذلك قال في مزدلفة[3].

---

(١) البخاري (٨٣)، ومسلم (١٣٠٦).

(٢) أبو داود (١٩٥٠)، والترمذي (٨٩١)، والنّسائي (٣٠٤١)، وابن ماجه (٣٠١٦)، وأحمد (١٨٣٠٠).

(٣) في حديث جابر عند مسلم: «نَحَرْتُ هَاهُنَا، وَمِنًى كُلُّهَا مَنْحَرٌ، فَانْحَرُوا فِي رِحَالِكُمْ، وَوَقَفْتُ هَاهُنَا، وَعَرَفَةُ كُلُّهَا مَوْقِفٌ، وَوَقَفْتُ هَاهُنَا، وَجَمْعٌ كُلُّهَا مَوْقِفٌ».



الخامس: إذنُ النَّبيِّ ﷺ لمن استأذنه في المبيت بمكة أيام منى للحاجة، وقد فهم كثير من العلماء أنّ المبيت بمنى غير واجب، كما أذن للضّعفاء والنِّساء في الرَّمي بعد منتصف اللّيل.

السّادس: خفَّف عن الحائض، إذا بقي عليها طواف الوداع، وأسقطه عنها، إذا كان انتظارها يَحبسُ مَحْرمها أو رُفقتها.

السّابع: أذِن سبحانه لمن أراد البيع والشّراء والتّجارة في حجّه، وقال: ﴿ لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَبْتَغُواْ فَضْلًا مِّن رَّبِّكُمْ ﴾[البقرة: ١٩٨]، وهذا من فضله وإحسانه، جلّ شأنه.

الثّامن: جعَل الله للحاجّ عوضًا عن خطئه، وكفارة عن تقصيره، وجعلها سهلة ميسرة، وجعل في بعضها تخييرًا بالصيام، أو الصّدقة، أو ذبح فدية.

التّاسع: كما رخّص النَّبيُّ ﷺ لمن له حاجة بمكّة تشغله عن الرّمي أيام التّشريق، أن يجمع ذلك في آخر يوم.

العاشر: كما أذن الإسلام بأداء شعائر الحجّ، والمرءُ راكبٌ، فلو أنّ الحاجَّ أدّى كلّ شعائر الحجّ وهو راكبٌ، لما كان في ذلك من حرج، بل لا يدَّعي أحدٌ بأنّ الماشي أفضل منه إلّا خانته دعواه.

الحادي عشر: أسقط الحجّ عن المرأة إذا لم تجد محرمًا يحجّ معها.

الثّاني عشر: أذن لمن كان عاجزًا عن الحجّ لمرض ملازم، أو هرم مقعد أن يحجّ عنه غيره، في حياته.

الثّالث عشر: فتح الباب لمن أراد أن يحجّ عمّن لم يحجّ.

كلّ هذه الوجوه وغيرها شاهدة أبلغ شهادة على تيسير المولى سبحانه لهذه الشّعيرة، فإنّه جلّ شأنه عالم بما يكون وما سيكون كيف يكون، ومن ذلك ما يكون في هذه العصور، وما يكون فيها من تكاثر في أعداد الخليقة، وما يجدّ من مراكب سريعة، توصل في ساعات إلى مكّة مَن كان لا يصل إلّا في شهور متوالية.

هل يحسن الإيثار في الطّاعات؟

يقول بعض النّاس: إنّ فسح المجال لمن لم يحجّ أن يحجّ من باب الإيثار في القربات.. وهذا صحيحٌ، ولكن الإيثار في القرب منه ما هو محمود، ومنه ما هو مذموم، وهذا من المحمود، لأنّه تمكين من أداء الفريضة التي قد أدّيتها وفرغت منها، والتّنافس هنا بين فريضة يريد غيرك أداءها، ونافلة تريد فعلها، ولا طريق لفعلك النّافلة إلّا بإحداث مشقة على غيرك، ونظير ذلك: فراغ المصلّين من الجماعة في مسجد، ومجيء آخرين بعدهم، فإنّ من المطلوب إفساح المكان لهم ليصلوا، وتقوم الجماعة الأولى من مكانها، وإن كان في جلوسها اشتغال بالذِّكر أو النَّافلة، غير أن فريضة غيرهم مقدمة على نافلتهم.

فالفريضة مقدّمة على النّافلة مطلقًا سواء أكان الفاعل واحدًا أم متعددًا.

وتقديمها أمر شرعي معلوم لا جدال فيه، وتقديم ما قدّمه الله من الفقه الذي سنّه لنا نبيّنا ﷺ، وقد ذكر الله الطّائفين والقائمين في آية القائمين والرّكع السّجود. ولو أراد جماعة أن يصلّوا النّافلة حول البيت مع وجود طائفين متنفلين، أو كانوا يصلّون جماعةً أخرى بعد فراغ المصلِّين من الصّلاة، لكان الحقّ للطائفين لقربهم من متعلَّق عبادتهم، وهو الكعبة، ولأنّ الله قدّمهم، ولأنّ صلاة أولئك تفعل في أي مكان من المسجد، وإفساح المجال من

التّعاون على البرّ والتّقوى الذي قال الله فيه: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُحِلُّواْ شَعَٰٓئِرَ ٱللَّهِ وَلَا ٱلشَّهْرَ ٱلْحَرَامَ وَلَا ٱلْهَدْىَ وَلَا ٱلْقَلَٰٓئِدَ وَلَآ ءَآمِّينَ ٱلْبَيْتَ ٱلْحَرَامَ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّن رَّبِّهِمْ وَرِضْوَٰنًا وَإِذَا حَلَلْتُمْ فَٱصْطَادُواْ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَـَٔانُ قَوْمٍ أَن صَدُّوكُمْ عَنِ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ أَن تَعْتَدُواْ وَتَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ وَلَا تَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿٢﴾ ﴾ [المائدة].

وقد أوردتُ الآية كاملة لبيان سياقها.

وقال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا قِيلَ لَكُمْ تَفَسَّحُواْ فِى ٱلْمَجَٰلِسِ فَٱفْسَحُواْ يَفْسَحِ ٱللَّهُ لَكُمْ وَإِذَا قِيلَ ٱنشُزُواْ فَٱنشُزُواْ يَرْفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْ وَٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْعِلْمَ دَرَجَٰتٍ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿١١﴾ ﴾ [المجادلة].

والمقصود: أنّ قولهم: لا إيثار في القربات ليس على إطلاقه، بل الإيثار حسنٌ في القربات في بعض الأحوال؛ لوجوه:

أحدها: أنّ قول الله تعالى: ﴿ وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ ﴾ [الحشر: ٩]، عامٌّ يشمل أمرَي الدُّنيا والدِّين، ولا دليل على التّخصيص.

الثّاني: المُؤثِرُ غيرَه على نفسه إن كان لسببٍ، كتبجيل، أو برّ، أو استحقاق له الأجر مرّتين، أجرٌ على توقيره، وأجرٌ على الإيثار.

ومثال التّبجيل: الإفساح للكبير في الصّف في مكان يصلح له، ومثال **البرّ**: تقديم الوالد، ومثال الاستحقاق: تقديم أولي الأحلام والنُّهى في الموضع الذي يلي الإمام، ولو كانوا مسبوقين.

وقد بسط هذه المسألة ابن القيم في كتاب «زاد المعاد» وبين أن المقالة المشهورة في إيثار القرب ليست على إطلاقها، ومثَّل لذلك بإيثار عائشة رضي الله عنها عمر بن الخطاب رضي الله عنه على نفسها في دفنه بحجرتها عند قبر رسول الله ﷺ.

قال رحمه الله: «ومن تأمل سيرة الصحابة، وجدهم غير كارهين لذلك، ولا ممتنعين منه، وهل هذا إلا كرم وسخاء، وإيثار على النفس، بما هو أعظم محبوباتها، تفريحا لأخيه المسلم، وتعظيما لقدره، وإجابة له إلى ما سأله، وترغيبا له في الخير، وقد يكون ثواب كل واحد من هذه الخصال راجحا على ثواب تلك القربة، فيكون المؤثر بها ممن تاجر فبذل قربة وأخذ أضعافها، وعلى هذا فلا يمتنع أن يؤثر صاحب الماء بمائه أن يتوضأ به ويتيمم هو، إذا كان لا بد من تيمم أحدهما، فآثر أخاه وحاز فضيلة الإيثار وفضيلة الطهر بالتراب، ولا يمنع هذا كتاب ولا سنة، ولا مكارم أخلاق، وعلى هذا، فإذا اشتد العطش بجماعة وعاينوا التلف، ومع بعضهم ماء، فآثر على نفسه واستسلم للموت كان ذلك جائزًا، ولم يقل: إنه قاتل لنفسه، ولا أنه فعل محرَّمًا، بل هذا غاية الجود والسخاء، كما قال تعالى: ﴿وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ﴾، وقد جرى هذا بعينه لجماعة من الصحابة في فتوح الشام، وعُدَّ ذلك من مناقبهم وفضائلهم، وهل إهداء القرب المجمع عليها والمتنازع فيها إلى

الميت إلا إيثار بثوابها، وهو عين الإيثار بالقرب، فأي فرق بين أن يؤثره بفعلها ليحرز ثوابها، وبين أن يعمل ثم يؤثره بثوابها»[١].

الثالث: إفساح المجال في الحجّ لا يعدّ من الإيثار عند التّحقيق أصلًا، لاختلاف القربتين، وبيان ذلك: أنّ الأمر هنا تنافس بين مفترِض ومتنفِّل، كما تقدّم. ونظيره لو تنازع رجلان على ماء لا يكفي إلَّا لوضوءٍ واحدٍ، وأحدهما يريده للفريضة، والآخر للنّافلة لَحُكِمَ لصاحب الفريضة بالماء، وفي أقل الأحوال يُندَب للمتنفل أن يؤثر صاحب الفريضة على نفسه.

---

(١) زاد المعاد (٣/ ٤٤٢)، وفي بعض ما قاله -رحمه الله- نظرٌ.

تحايلٌ ومخالفة!

ما الملجئ لك أيّها المسلم إلى:

- أن تحتال في حجّك، وتدخل مكّة بثيابك، وتلبس ما نُهيت أن تلبسه وأنت محرم، فتأتي بحجّ خداج؟

- وما الذي يلجئك إلى أن تسلك الطّرق الوعرة، للاحتيال على المسؤولين؟ وما الذي يحملك على الكذب بالفعل والقول، وقد أدَّيت ما عليك، وحججتَ فريضة الإسلام؟ آلله أذن لك بهذا؟

- وما الذي يحملك على أن تتنازل عن تكريم نفسك وتخاطر بها، فتتعلق بسيارة، وتجلس في قارعة الطريق، آلله أمرك بهذا؟

- ما الذي يلجئك إلى تعريض نفسك للمخالفة والمساءلة، من دلَّك على هذا؟

- ما الحامل لك على أن تزاحم وتدافع فيما لم توجبْه عليه شريعة، وقد أدّيتَ هذه الفريضة، وغيرُك من المسلمين لم تُتَحْ لهم فرصة الحجّ؟

ما الذي يجعلك تنسى المسارعة إلى عمل آخر يكون لك فيه أجر كأجر الحجّ، أو خيرٌ منه، كتجهيز حاجّ لم يحجّ، أو تزويج شابّ وإعفافه، أو كفالة يتيم، أو صلة رحم، أو خدمة أبوين، أحدهما أو

كليهما، أو صدقة على قريب، أو فقير، أو مسكين، أو اعتمار، أو غير ذلك.

إنّ مسارعتك إلى الخيرات ومسابقتك فيها أمرٌ حسن، ولكن الميدان فسيح لتسابق فيه بما تشاء، من غير مشقّة، ولا إعنات لأحد، فلا تنسَ فضل الله العظيم، ورحمته الواسعة.

واعلم أنّ من الاستباق والمسارعة ما يشبه مسارعة بعض المصلِّين حول البيت من العامّة، حين يقفزون من تسليمهم في صلاتهم إلى تقبيل الحجر الأسود، وكاستباق بعض النّاس رميَ الجمرة، والإقبال عليها إقبال المهاجم، لا يُهمّه إلّا أن يمضيَ في أمره، ولو دفع هذا وأوجع هذا، وأسقط ذاك!

هل جاء الترغيب في فضل تكرار الحجّ؟

الحجّ عبادة من أعظم العبادات المكفرة للذنوب، ولا جدال في فضلها الكبير، فريضةً وتطوعًا، ولكنا قد علمنا أنّ الفاضل قد يكون مفضولًا في بعض الأحوال، ومع هذا فقد جاء الترغيب بتكرار العمرة في نصوص هي أصحّ وأصرح، وأقوى وأثبت من تكرار الحجّ.

ومن ذلك: «العمرة إلى العمرة كفّارة لما بينهما، والحجّ المبرور ليس له جزاء إلّا الجنّة»[1]. ولم يقل: الحجّ إلى الحجّ.

وأمّا الحجّ فقد جاء في تكراره حديثان، في كلٍّ منهما مقال؛ أحدهما: «تابعوا بين الحجّ والعمرة.. » الحديث[2].

---

(١) متفق عليه.

(٢) روي من طرق:

إحداها من رواية عامر بن ربيعة، أخرجها أحمد والطبراني في (الكبير) وفي إسنادها عاصم بن عبيد الله، وهو ضعيف.

والثّانية: أخرجها البزار من رواية جابر، وفي إسنادها بشر بن المنذر، وفي حديثه وهم.

والثالثة: من رواية ابن عمر، أخرجها الطبراني في (الكبير)، وفيها: حجاج بن نصير، ضعّفه النّسائي

وجاء بلفظ: «أديموا الحجّ والعمرة» عن جابر وابن عباس، كلاهما في الطبراني (الأوسط)، وفي إحدى الرّوايتين عبد الله بن محمّد بن عقيل، وفي الثّانية: علي بن زيد بن جُدعان، وكلاهما ضعيفٌ.

وقيل في معناه: اجعلوا أحدهما تلو الآخر، وقيل: المراد: التّكرار، أي: إذا حججتم فاعتمروا، وإذا اعتمرتم فحجّوا. وهو الأظهر. وإسناده لا يصحّ كما هو موضّح في الهامش.

الحديث الثّاني: عن أبي هريرة رضي الله عنه، عن النَّبيِّ ﷺ قال: «إنَّ الله تَعَالَى يَقُوْلُ: إِنَّ عَبْدًا أَصْحَحْتُ لَهُ جِسْمَهُ وَوَسَّعْتُ عَلَيْهِ فِي مَعِيشَتِهِ تَمْضِي عَلَيْهِ خَمْسَةُ أَعْوَامٍ لَا يَفِدُ إِلَيَّ لَمَحْرُوْمٌ»، وفي رواية: «لم يزرني كلّ خمسة أعوام لمحرومٌ»، وفي رواية: «يأتي عليه خمسٌ لم يأت إليَّ فيهنَّ، لمحرومٌ»[1].

وهو حديثٌ رُوي بألفاظ مختلفة، كلّها ضعيفة. وقال البخاريُّ: هذا الحديث منكرٌ، وكذلك قال ابن عدي[2].

ومن العلماء من يصحّحه بطرقه، على قاعدة: «فضعيفان يَغلبان قويًّا».

ومع القول بصّحته وثبوته؛ فإنّ الاعتمارَ وفودٌ أيضًا، فمن اعتمر فهو وافدٌ وزائرٌ؛ لأنّ المراد الإتيان إلى بيت الله، وإنّما يُزارُ المرءُ في بيته، وهذا يحصل بالعمرة، وإنّما كانت الزّيارة في الحجّ من أجل البيت، لا من أجل المشاعر الأخرى كعرفات ومزدلفة ومنى، وإن كانت من

---

(١) جمع طرقه الحُويني في (الأحاديث القدسية الأربعين).

(٢) انظر: لسان الميزان (٣/ ١٨٨).

شعائر الحجّ، وفيها ما هو ركنٌ لا يصحّ الحجّ إلا به، ولكن المقصود بالزّيارة هو بيت الله الحرام.

الصّدقة أفضل أم حجّ التّطوع؟

المتتبع لأقوال عامّة فقهاء الأمّة لا يجد خلافًا بين جمهورهم في أنّ الصّدقة أفضل من تكرار الحجّ، لا سيما إذا كان للمتصدق أقارب محاويج، أو كانت الصّدقة في الجهاد في سبيل الله لإعلاء كلمة الله.

وسئل الإمام أحمد عن ذلك، فقال: «يصرفها في أكباد جائعة أحبّ إليّ من حجّ التّطوع»[١].

وما أحسن ما قاله الحسن البصري: «يقول أحدهم: أحجّ أحج، قد حججت.. صِلْ رحمًا، نفِّس عن مغموم، أحسن إلى جار»[٢].

وقال أبو حنيفة: «الصّدقة أفضل مطلقًا». وهو رأي أبي عبيد الله بن الحسن، والثوري[٣].

---

(١) نقله ابن هانئ في مسائله، انظر: الفروع لابن مفلح (٤/ ٣٨٦).

(٢) هو في (الزهد للإمام أحمد: ١٤٨٨) من زيادات ابنه عبد الله.

(٣) انظر: مختصر اختلاف الفقهاء (٢/ ٢٤٢).

رأي علماء العصر في تكرار الحجّ

المشهور عن العلماء منذ القرون الأولى أنّ الصّدقة والإحسان إلى الفقراء، وغير ذلك من صالح العمل، هو أفضل من حجّ التّطوع، وقد مضى التنويه عن ذلك قبل قليل.

وكان ذلك رأيهم يومَ لم يكن هنالك زحامٌ كزحام اليوم.

وعلماء العصر هم أعلم بحال الحجيج وازدحام النّاس الذي لم يكن معهودًا قبل زمن المراكب السّريعة، والتيسيرات المذلّلة لوصول النّاس إلى مكة في ساعات، وكذلك مساكن مكة وطرقها وخيامها، والخدمات المقدمة لهم، والرّعاية التي يحظون بها من القادة والمسؤولين في بلاد الحرمين الشّريفين.

غير أنّ هذه التيسيراتِ وتلك الوسائلَ زادت من إقبال الحجاج، والمكانُ -كما قلنا- محدودٌ، وكذلك الزّمان؛ لهذا كان الرّأي الغالب لعلماء هذه البلاد وغيرهم أنّ الأفضل عدمُ تكرار الحجّ، وإنفاقُ المال المعدّ للحجّ في سبيل الله.

سُئل سماحة الشيخ عبد العزيز ابن باز (رحمه الله):

ما رأيكم في تكرار الحج مع ما يحصل فيه من الزحام واختلاط الرجال بالنساء؟ وهل الأفضل للمرأة ترك الحج إذا كانت قد قضت فرضها، وربما تكون قد حجتْ مرّتيْن أو أكثر؟

فأجاب: لاشك أن تكرار الحج فيه فضل عظيم للرجال والنساء، ولكن بالنظر إلى الزحام الكثير في هذه السنين الأخيرة بسبب تيسير المواصلات، واتساع الدنيا على الناس، وتوفر الأمن، واختلاط الرجال بالنساء في الطواف وأماكن العبادة، وعدم تحرُّز الكثير منهن عن أسباب الفتنة، نرى أن عدم تكرارهن الحجَّ أفضل لهن وأسلم لدينهن وأبعد عن المضرة على المجتمع الذي قد يُفتن ببعضهن، وهكذا الرجال إذا أمكن تركُ الاستكثار من الحج لقصد التوسعة على الحجاج وتخفيف الزحام عنهم، فنرجو أن يكون أجره في الترك أعظم من أجره في الحج، إذا كان تركُه له بسبب هذا القصد الطيب، ولاسيما إذا كان حجُّه يترتب عليه حجُّ أتباع له قد يحصل بحجهم ضرر كثير على بعض الحجاج؛ لجهلهم أو عدم رفقهم وقت الطواف والرمي وغيرهما من العبادات التي يكون فيها ازدحام، والشريعةُ الإسلامية الكاملة مبنية على أصلين عظيمين:

أحدهما: العناية بتحصيل المصالح الإسلامية وتكميلها ورعايتها حسب الإمكان.

والثاني: العناية بدرء المفاسد كلّها أو تقليلها، وأعمال المصلحين والدعاة إلى الحق وعلى رأسهم الرسل عليهم الصلاة والسلام تدور بين هذين الأصلين، وعلى حسب علم العبد بشريعة الله سبحانه وأسرارها ومقاصدها وتحريه لما يرضي الله ويقرب لديه، واجتهاده في

ذلك يكون توفيق الله له سبحانه وتسديده إياه في أقواله وأعماله. وأسأل الله عز وجل أن يوفقنا وإياكم وسائر المسلمين لكل ما فيه رضاه وصلاحُ أمر الدين والدنيا إنه سميع قريب[١].

وقال الشيخ صالح الفوزان:

وأما تكرار الحج فهو مستحب إذا لم يترتب عليه أضرار بدنية بسبب الزحام الشديد والأخطار المترتبة على ذلك. فإذا كان هناك أضرار فترك الحج النافلة أفضل لاسيما أن هناك أعمالًا خيرية كثيرة ومجالًا واسعًا لمن يريد الخير من إطعام المحتاجين وإعانة المعسرين والإسهام في المشاريع الخيرية النافعة. وأيضًا لا بد من التقيد بالأنظمة التي وضعتها الدولة لمصالح الحجاج كتحديد عدد الحجاج لكل دولة. فلا تجوز مخالفة هذا النظام والحج من غير ترخيص، وتعريضُ الإنسان نفسه للمسئولية التي قد يرتكب بسببها محظورات في الإحرام. ولا يؤدي الحج على الوجه المطلوب بسبب كثرة الزحام؛ مما يجعله يترخص في أداء المناسك فيكون حجة ناقصًا، وقد يكون غير صحيح؛ بسبب ما يترك من المناسك أو لا يؤديه على الوجه المطلوب، ولاسيما النساء؛ لما يتعرضن له من الخطر الشديد والمشقة الصعبة. فمن أدى فرضه فالأولى أن لا يكرر الحج في هذه الظروف الصعبة، ويترك المجال لغيره ممن لم يحج. قال الله تعالى:

---

(١) مجموع فتاوى ابن باز (١٦/ ٣٦١).

﴿وَتَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ ۖ وَلَا تَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ﴾ [المائدة: ٢]، وقال تعالى: ﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾ [البقرة: ٢٨٦]، وكما أسلفنا هناك مجالات واسعة لفعل الخير غير حج النافلة بإمكان المسلم أن يسهم فيها، وقد يكون أجرها أعظم من حج النافلة. هذا لو كان الحج متيسرًا، فكيف إذا كان الحج متعسرًا كما هو الحال في هذه الأزمان. والله الموفق والهادي إلى سواء السبيل. وصلى الله وسلم على نبينا محمد وآله وصحبه[1].

وقد سُئلت اللجنة الدّائمة للإفتاء: هل يستحسن الحج كلَّ سنة لمن يرغب في ذلك ولا يشق عليه، أو الأفضل كلَّ ثلاث سنوات مرة، أو كلَّ سنتين مرة؟

فأجابت اللجنة إجابة حكيمة محكمة، هذا نصُّها:

«فرض الله الحج على كل مكلف مستطيع مرة في العمر، وما زاد على ذلك فهو تطوع وقُربة يتقرب بها إلى الله، ولم يثبت في التطوع بالحج تحديدٌ بعددٍ، وإنما يرجع تكراره إلى وضع المكلف المالي والصحي، وحال من حوله من الأقارب والفقراء، وإلى اختلاف مصالح الأمة العامة، ودعمِه لها بنفسه وماله، وإلى منزلته في الأمة ونفعه لها حضرًا أو سفرًا في الحج وغيره، فلينظر كلٌّ إلى ظروفه وما هو أنفع له

---

(١) الرّسالة (ملحق جريدة المدينة: الجمعة ١٤/ ٣/ ١٤٣٧هـ، العدد: ١٩٢٣٨).

وللأمة فيقدمه على غيره، وبالله التوفيق، وصلى الله على نبينا محمد وآله وصحبه وسلم»[١].

دعوة خطيب المسجد الحرام إلى عدم تكرار الحجّ

وقد دعا الشيخ الدكتور عبدالرحمن السديس الرئيس العام لشؤون المسجد الحرام والمسجد النبوي المسلمين الذين سبق لهم أداء العمرة أو الحج إلى عدم التكرار حفاظًا على سلامتهم وصحتهم نظرا لأعمال التوسعة الجارية في الحرم المكي لتفتح مجال التساؤل عن جدوى تكرار مناسك الحج والعمرة[٢].

وبمثل ذلك قال كثيرٌ من علماء العصر من داخل المملكة وخارجها، وللدكتور سلمان العودة مقالٌ في ذلك نافعٌ، على موقع (الإسلام اليوم).

(١) رقم الفتوى (٦٩٠٩).

(٢) جريدة الرياض ١٤ شعبان ١٤٣٤هـ - العدد: ١٦٤٣٥.

المستثنون من تكرار الحجّ

– أميرُ الحجّ ومَن كان في مقامه ممّن لمشاركتهم في الحجّ أثرٌ في القائمين على أمنِ الحجّ، وحراسةِ الحجيج، والقيامِ بشؤونهم.

– أهلُ العلم الذين يُبيّنون للنّاس مناسك الحجّ، ومَن في حكمهم.

– مَن حجّ عن نفسه، ولكنه أراد أن يحجّ مع إحدى نسائه من أزواجه وبناته وغيرِ ذلك من قريباته، ولا محرمَ يحجّ معهن غيرُه.

– مَن أراد أن يحجّ عن أحد والديه إن كان لم يحجّ من قبلُ.

– من حجّ حجّة الإسلام، ولكنه أخلّ بركن من أركان الحجّ.

بدائل عن الحجّ

سبحان من وسعتْ رحمته كلّ شيء، وفتح لعباده أبوابًا واسعة ليدخلوا إليها، وجعل تلك الأبواب قريبة منهم، على تفاوت في سعتها وقربها وأنواعها، وأذن لكل واحد بأن يدخل من أيّها شاء ليكفِّر عن ذنبه، ويبيِّض صحائفه، ويثقِّل موازينه، وليكون له - برحمة ربه - مقعدُ صدق عنده.

ولم يكن الحجّ المبرور هو المكفّرَ وحده، والقائدَ إلى جنات النّعيم، بل الأعمال الصّالحات بأنواعها فيها ما يغفر الذّنب، ويرضي الرّب، فالتّوبة تغفر الذّنب كلّه، والوضوء والتّشهد بعده يفتح أبواب الجنّة الثّمانية، ويمحو الخطايا، والصّلوات الخمس مكفّرة، وكذلك الجمعة، ورمضان، والعمرة، وقيام رمضان، وبعض أنواع الذِّكر، والصّبر على البلاء، والصّدقة، وبناء المساجد، وكفالة اليتيم، والمجاهدة في سبيل الله، وتقوى الله، وعمل الصّالحات، والإحسان، وتعليم القرآن، وتدريس العلم، والدّعوة إلى الله، وغير ذلك كثير.. وفيها ما هو أعظم من الحجّ. وقد يسبق العملُ المفضولُ العملَ الفاضل؛ لأنّه أوفق إلى قلب المتعبّد، وأرفقُ بحاله. والموفَّق هو من فقه في دين الله، وهداه الله إلى أحسن الأعمال.

واعلم أيها القاصدُ بيتَ الله إن كنتَ ضعيف الصَّبر، قليل التّحمل، كثير التسخط، غير محبّ للإيثار، ولا غاضّ للبصر، وترغبُ في الجدال، وفضول الكلام، فالأَوْلى في حقّك، بل المتعيِّن أن تنظر إلى عمل أنفع لك.

والبدائلُ التي أشرنا إليها هي بدائل من جنس الحجّ، أو تتعلق به. وأمّا سائر القربات التي أشرنا إلى بعضها من قبل، فهذه لا تحصى لكثرتها.

ومن تلك البدائل:

– الإكثار من العمرة، والاعتمارُ يتّسع له العام كلّه، وقد حثّت الشّريعة على الإكثار منها.

– قصدُ العمرة في شهر رمضان؛ لأنّها تعدل حجّة، وهذا من فضل الله الواسع، والعمرة وفود على الله يشملها ذلك الحديث المتقدّم، إن حكمنا بصحته.

– تجهيز الحاجّ الذي لا يقدر على الحجّ، ولو قيل: إنّ هذا أفضل من حجّ الإنسان بنفسه لنفسه تطوعًا، لما كان في القول غرابة، لأنّه إعانة على فعل واجب قد أدّيتَ مثله.

ويقرب منه في التّنظير حديثُ «من جهّز غازيًا فقد غزا»(١).

– ثمّ إنّ العمل الصّالح في أيّام عشر ذي الحجّة أحبّ إلى الله من

(١) البخاري (٢٨٤٣)، ومسلم (١٨٩٥)، من حديث زيد بن خالد.

الجهاد في سبيله، ولا يساوي أو يفضلُ العملَ الصّالح فيهن إلَّا من خرج بنفسه وماله في سبيل الله ولم يرجع من ذلك بشيء.

وقد ثبت في الصّحيح أنّ رسول الله سئل: أيّ العمل أفضل؟ فقال: «إيمان بالله ورسوله». فقيل: ثمّ ماذا؟ قال: «الجهاد في سبيل الله»، ثمّ ماذا؟ قال: «حجٌ مبرور»[١].

فإذا كان الجهاد في سبيل الله أفضل من الحجّ المبرور، والعمل الصالح في العشر أفضل من عموم الجهاد في سبيل الله، فالعمل الصّالح أفضل من الحجّ المبرور.

فإن قيل: الحاجّ أيضًا في مناسكه هو في عمل صالح، قلنا: نعم، هو في عمل صالح، ولكن المقيم أفرغ للعمل والإكثار منه، من الحاجّ المسافر، ويحصل له من العبادات المستحبّة ما لا يتيسر أو يستحبّ للمسافر، من الصّيام والقيام، وصلة الأرحام، والإطعام، والإحسان إلى الجار والقرابة، ورعاية الوالدين أو أحدهما، وغير ذلك من الأعمال.

هذا، وصلّى الله على نبينا محمد، وعلى آله الطيبين، وصحابته الميامين، وسلّم تسليما كثيرا.

---

(١) البخاري (٢٦)، ومسلم (٨٣)، من حديث أبي هريرة.

المصادر والمراجع

• القرآن الكريم.

• الأحاديث القدسية الأربعون، للملا علي بن سلطان القاري (ت:١٠١٤هـ)، خرَّجَ أحاديثهُ: أبو إسحاق الحويني الأَثَرِيُّ، الناشر: مكتبة الصحابة، جدة - الشرفية، مكتبة التابعين، سليم الأول - الزيتون.

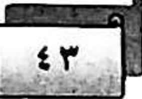
• زاد المعاد في هدي خير العباد؛ لابن قيم الجوزية: محمد بن أبي بكر (ت: ٧٥١هـ)، الطبعة السابعة والعشرون ١٤١٥هـ، مؤسسة الرسالة، بيروت - مكتبة المنار الإسلامية، الكويت.

• الزهد للإمام أحمد بن محمد بن حنبل الشّيباني (ت: ٢٤١هـ)، دار الكتب العلمية/ بيروت.

• سنن الترمذيّ؛ محمد بن عيسى بن سَوْرة (ت: ٢٧٩هـ)، تحقيق وتعليق: أحمد محمد شاكر وآخرين، الطبعة الثانية ١٣٩٥هـ، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي - مصر.

• سنن أبي داود، سليمان بن الأشعث السِّجِسْتاني (ت: ٢٧٥هـ) تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية، صيدا - بيروت.

• سنن ابن ماجه محمد بن يزيد القزويني (ت: ٢٧٣هـ)، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء الكتب العربية - فيصل عيسى البابي الحلبي.



• سنن النّسائي؛ أحمد بن شعيب النسائي، الطبعة الخامسة ١٤٢٠هـ، تحقيق: مكتب تحقيق التراث بدار المعرفة ببيروت.

• صحيح البخاري = الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله ﷺ وسننه وأيامه، للبخاري: محمد بن إسماعيل (ت: ٢٥٦هـ)، تحقيق: محمد زهير بن ناصر الناصر، الطبعة الأولى ١٤٢٢هـ، دار طوق النجاة.

• صحيح مسلم = المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله ﷺ، لمسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري (المتوفى: ٢٦١هـ)، محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي - بيروت.

• الفروع؛ لأبي عبد الله محمد بن مفلح المقدسي (ت: ٧٦٣هـ)، تحقيق: الدّكتور عبد الله التركي، الطبعة الأولى ١٤٢٤هـ، مؤسسة الرسالة/ بيروت.

• لسان الميزان، لابن حجر العسقلاني (ت: ٨٥٢هـ)، تحقيق: دائرة المعرف النظامية - الهند، الطبعة الثانية ١٣٩٠هـ، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات بيروت - لبنان.

• مسند الإمام أحمد بن محمد بن حنبل الشيباني (ت: ٢٤١هـ)، تحقيق: شعيب الأرنؤوط وآخرون، إشراف: د. عبد الله بن عبد المحسن التركي، الطبعة الأولى ١٤٢١هـ، مؤسسة الرّسالة - بيروت.

- معجم الأوسط، لسليمان بن أحمد بن أيوب الطبراني (المتوفى: ٣٦٠هـ)، تحقيق: طارق بن عوض الله بن محمد وعبد المحسن بن إبراهيم الحسيني، الطبعة الأولى، دار الحرمين – القاهرة.
- معجم الطبراني الكبير، للطبراني (المتوفى: ٣٦٠هـ)، تحقيق: حمدي بن عبد المجيد السلفي، الطبعة الثانية، مكتبة ابن تيمية – القاهرة.
- مجموع فتاوى ابن باز (ت: ١٤٢٠هـ)، جمعه: محمد بن سعد الشّويعر.
- مجموع فتاوى اللجنة الدائمة، جمع وترتيب: أحمد عبد الرزاق الدّويش، الرّئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء/ الرياض.
- مختصر اختلاف العلماء؛ لأبي جعفر أحمد بن محمد الطحاوي (ت: ٣٢١هـ)، تحقيق: د. عبد الله نذير أحمد، الطبعة الثانية ١٤١٧هـ، دار البشائر الإسلامية – بيروت.

القول المبين في المتلول للجبين

(تحرير وترجيح في تعيين الذبيح)

أ. د. عبد العزيز بن علي الحربي

توطئة

نواة هذا البحث إجابةٌ عن سؤال أُلقِيَ إلي، يريدُ السائل فيه بيانَ القول الصحيح في تعيين الذبيح، فوافيتُه بالجواب موجزًا، ثم بسطتُه في بحث علمي؛ خيفةَ أن لا يَكشفَ الإيجازُ إلا عن نقلٍ واختيارٍ، ولَمّا أتممتُ البحث دعوتُ له جمعًا من أعضاء المجمع والدارسين؛ ليُناقشوا ما قلتُه، وليضيفوا إلى ما أحاضر به قولًا أو تحريرًا؛ فلم يكن من كثير منهم إلا التأييدُ ومؤازرةُ ما اخترتُه. وبدا لي أن أعجلَ بطباعة البحث؛ لأنّ ما حاضرتُ به ليلتئذٍ كان من ذهني، ولم أستوفِ الأدلة كلَّها لضيق الوقت.

وقد سننتُ للباحثين سنة حسنة، وهي أنني عقدتُ في آخر البحث عنوانًا سميتُه «شوارد البحث»، جمعتُ تحته ما ندَّ من المسائل المستقلة، أو التي كان من شأنها أن تُدرَجَ في مبحث سابق لعلاقة ضعيفة، أو لم أتذكرْها إلا بعد بناء البحث.

وإليك سؤالَ السائل والجوابَ عنه، ثم البحثَ بفصوله وشوارده، وما توفيقي إلا بالله.

أبو محمد

عبد العزيز بن علي الحربي

مكة المكرمة ١/ ٧/ ١٤٣٧هـ

السؤال والفتوى

قال السائل: أشكل عليَّ القول في الذبيح.. أهو إسماعيل أم إسحاق؟ ورجحتُم في تفسير «وجه النهار» أنه إسماعيل، ولم تذكروا أدلة كافية في ذلك.

الفتوى:

أوجزُ لك الجواب في هذه المسألة التي اختَلف فيها الأولون والآخِرون، وتوقف فيها آخرون، ورأوا أنها من المَحارات، وفي كل قول طوائفُ تعجبُ من القول الآخر والقول به، ومردُّ ذلك إلى اختلاف الأفهام، وحضورِ البصيرة، وقوةِ التجرد، وصحةِ الاستدلال، ولطفِ النظر.

وممن حُكي القول عنه بأنه إسحاق، عددٌ من أكابر الصحابة منهم: عمر، وعلي، وابن مسعود، والعباس، وابن عباس، وجابر، وابن عمر. ومن التابعين: كعب الأحبار، وسعيد بن جبير، وقتادة، ومسروق، وعكرمة، وعطاء، والزُّهري، ثم مالك بن أنس.

ومِن أجلِّ استدلالاتهم: أنَّ البُشرى في جميع المواضع التي وردتْ فيها البشرى هي بإسحاق بتصريح أو ضرورة، فما الذي أخرَج موضع الصافات الذي ورد فيه البشرى والذبح معـًا؟ ثم إن هِبة الله بإسحاق جاءت إثر هجرة إبراهيمَ لقومه واعتزاله ما يعبدون، وكذلك قصةُ

الذبح، قال سبحانه: ﴿فَلَمَّا ٱعۡتَزَلَهُمۡ وَمَا يَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَهَبۡنَا لَهُۥٓ إِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَۖ وَكُلًّا جَعَلۡنَا نَبِيًّا ۝٤٩﴾، هذا في سورة مريم، وبنحوه جاء السياق في سورتي الأنبياء والعنكبوت، وقال في سورة الصافات: ﴿وَقَالَ إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَىٰ رَبِّي سَيَهۡدِينِ ۝٩٩ رَبِّ هَبۡ لِي مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ۝١٠٠ فَبَشَّرۡنَٰهُ بِغُلَٰمٍ حَلِيمٖ ۝١٠١ فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ ٱلسَّعۡيَ قَالَ يَٰبُنَيَّ إِنِّيٓ أَرَىٰ فِي ٱلۡمَنَامِ أَنِّيٓ أَذۡبَحُكَ فَٱنظُرۡ مَاذَا تَرَىٰۚ قَالَ يَٰٓأَبَتِ ٱفۡعَلۡ مَا تُؤۡمَرُۖ سَتَجِدُنِيٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّٰبِرِينَ ۝١٠٢﴾، فما الذي مزق بين المتماثلات؟

ولهم أدلة واستدلالات مِن دون ذلك ذكرتُها مفصلةً في رسالةٍ عنوانُها: «القول المبين في المتلول للجبين».

وظهر لي أنَّ أوْلى القولين بالصواب هو قول من قال: «إنه إسماعيل»، وهو قول جمهور السلف والخلف، كما قال ابن كثير؛ لأن الله قال في آخر قصة الذبح: ﴿فَبَشَّرۡنَٰهُ بِغُلَٰمٍ حَلِيمٖ ۝١٠١﴾، وهو كالدليل القاطع في المسألة، وبأن الله بَشّر بإسحاق ويعقوب معًا، ولا يصح الابتلاء بذبح غلام قد أيقن أبوه أنه سيتزوج ويُولَد له، ثم إنّ البشرى بإسحاقَ «بغلام عليم»، وأما هذا فـ«بغلام حليم»، ثم إن الأكبر هو إسماعيل، والابتلاء بالبِكر أقوى، ثم إن الذي كان بمكة هو إسماعيل، وفي أصول المناسك والآثار شواهد على ذلك، ثم إن الله أخبر أنه وهَب الغلام الذبيح: ﴿سَتَجِدُنِيٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّٰبِرِينَ ۝١٠٢﴾ وهو ما وُصف به

إسماعيل، كما وُصف بأنه صادق الوعد، ثم إنّ حقيقة البُشرى بإسحاق كانت لإبراهيم وامرأته، وهي لِامرأته أقوى، وكان الابتلاءُ لها.

ثم إني وجدت دليلًا غيرَ مشهور ظفرتُ بمن يقول به، بحمد الله، وهو قوله - سبحانه-: ﴿وَبَٰرَكۡنَا عَلَيۡهِ وَعَلَىٰٓ إِسۡحَٰقَۚ﴾، الضمير في «عليه» يعود إلى الذبيح لا إلى إبراهيم؛ لأربعة أوجه ذكرتُها في «القول المبين».

وممن حُكي عنه القول به: علي، وابن عمر، وأبو هريرة، وسعيد بن جبير، والحسن، ومجاهد، والشعبي، والباقر، وأبو صالح، ومحمد بن كعب، وأحمد ابن حنبل، وأبو عمرو ابن العلاء، وغيرهم.

واختاره ابن تيمية، وابن القيم، وابن كثير، وابن عاشور، والشنقيطي.

وقد قَوِيَ رجحانُ هذا القولِ في نفسي حتى بلغ علمَ اليقين، ولا تثريبَ على من قال: إنه إسحاق، فلكلٍّ دليلُه، وقد يغيبُ بعض الأدلة على العالِم، أو يخفَى وجهُ الاستدلال، أو لا ينشرحُ له صدرُه، ولا يغيب كلُّ ذلك أو بعضُه عن عالم آخرَ، وبهذا يكون الاختلاف، وتعدُّدُ الأقوال في المسائل التي لا يكون الحقُّ فيها إلا واحدًا، ومِن هذه هذه. والله يهدي إلى الحق وإلى طريق مستقيم.

هذا هو الجواب الموجَز، وأردفُه بالرسالة التي وعدتُ بها، وهي «القول المبين في المتلول للجبين».

مقدمة

قال أبو محمَّد:

هذا جوابٌ عن سؤال ورد إليَّ من أحد السَّائلين، يسأل فيه عن القول الصَّحيح في الذَّبيح، وسأل عن الدَّليل على ترجيحي الذي ذكرتُه في كتابي «وجه النَّهار الكاشف عن معنى كلام الواحد القهَّار»، فأجبتُه إجابة مختصرة، وعنَّ لي أن أستوفيَ الأدلة التي وقعتْ لي بعد التَّأمل مع الأدلة التي ذكرها العلماء في التَّفسير وغيره، وفي هذه الوجوه التي ذكرتُها ما يرقى إلى الدَّليل، وفيها ما هو دون ذلك.

وإنَّ من أصول العدل والبحث العلميِّ أنَّ أذكر للقارئ أدلّة القول الآخر، ومن قال به، والرَّدَّ عليه.

فصلٌ

الآيات التي وردت فيها قصة الذَّبح، والبشارة بإسحاق، وهبة إسماعيل وإسحاق لمن أراد أن يتدبَّر ذلك

السِّياق الأوّل:

﴿ وَلَقَدْ جَآءَتْ رُسُلُنَآ إِبْرَٰهِيمَ بِٱلْبُشْرَىٰ قَالُواْ سَلَٰمًا ۖ قَالَ سَلَٰمٌ ۖ فَمَا لَبِثَ أَن جَآءَ بِعِجْلٍ حَنِيذٍ ﴿٦٩﴾ فَلَمَّا رَءَآ أَيْدِيَهُمْ لَا تَصِلُ إِلَيْهِ نَكِرَهُمْ وَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً ۚ قَالُواْ لَا تَخَفْ إِنَّآ أُرْسِلْنَآ إِلَىٰ قَوْمِ لُوطٍ ﴿٧٠﴾ وَٱمْرَأَتُهُۥ قَآئِمَةٌ فَضَحِكَتْ فَبَشَّرْنَٰهَا بِإِسْحَٰقَ وَمِن وَرَآءِ إِسْحَٰقَ يَعْقُوبَ ﴿٧١﴾ قَالَتْ يَٰوَيْلَتَىٰٓ ءَأَلِدُ وَأَنَا۠ عَجُوزٌ وَهَٰذَا بَعْلِى شَيْخًا ۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَىْءٌ عَجِيبٌ ﴿٧٢﴾ قَالُوٓاْ أَتَعْجَبِينَ مِنْ أَمْرِ ٱللَّهِ ۖ رَحْمَتُ ٱللَّهِ وَبَرَكَٰتُهُۥ عَلَيْكُمْ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ ۚ إِنَّهُۥ حَمِيدٌ مَّجِيدٌ ﴿٧٣﴾ فَلَمَّا ذَهَبَ عَنْ إِبْرَٰهِيمَ ٱلرَّوْعُ وَجَآءَتْهُ ٱلْبُشْرَىٰ يُجَٰدِلُنَا فِى قَوْمِ لُوطٍ ﴿٧٤﴾ إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ لَحَلِيمٌ أَوَّٰهٌ مُّنِيبٌ ﴿٧٥﴾ ﴾ [هود].

السِّياق الثَّاني:

﴿ وَنَبِّئْهُمْ عَن ضَيْفِ إِبْرَٰهِيمَ ﴿٥١﴾ إِذْ دَخَلُواْ عَلَيْهِ فَقَالُواْ سَلَٰمًا قَالَ إِنَّا مِنكُمْ وَجِلُونَ ﴿٥٢﴾ قَالُواْ لَا تَوْجَلْ إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَٰمٍ عَلِيمٍ ﴿٥٣﴾ قَالَ أَبَشَّرْتُمُونِى عَلَىٰٓ أَن مَّسَّنِىَ ٱلْكِبَرُ فَبِمَ تُبَشِّرُونَ ﴿٥٤﴾ قَالُواْ بَشَّرْنَٰكَ بِٱلْحَقِّ فَلَا تَكُن مِّنَ ٱلْقَٰنِطِينَ ﴿٥٥﴾ قَالَ وَمَن يَقْنَطُ مِن رَّحْمَةِ رَبِّهِۦٓ إِلَّا ٱلضَّآلُّونَ ﴿٥٦﴾ قَالَ فَمَا خَطْبُكُمْ أَيُّهَا ٱلْمُرْسَلُونَ ﴿٥٧﴾ قَالُوٓاْ إِنَّآ أُرْسِلْنَآ إِلَىٰ قَوْمٍ مُّجْرِمِينَ ﴿٥٨﴾ إِلَّآ ءَالَ لُوطٍ إِنَّا لَمُنَجُّوهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٥٩﴾ إِلَّا ٱمْرَأَتَهُۥ قَدَّرْنَآ ۙ إِنَّهَا لَمِنَ ٱلْغَٰبِرِينَ ﴿٦٠﴾ فَلَمَّا جَآءَ ءَالَ لُوطٍ ٱلْمُرْسَلُونَ ﴿٦١﴾ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ مُّنكَرُونَ ﴿٦٢﴾ قَالُواْ بَلْ جِئْنَٰكَ بِمَا كَانُواْ فِيهِ يَمْتَرُونَ ﴿٦٣﴾ وَأَتَيْنَٰكَ بِٱلْحَقِّ وَإِنَّا لَصَٰدِقُونَ ﴿٦٤﴾ ﴾ [الحجر].

السِّياق الثَّالث:

﴿قَالَ سَلَٰمٌ عَلَيْكَ سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّيٓ إِنَّهُۥ كَانَ بِي حَفِيًّا ﴿٤٧﴾ وَأَعْتَزِلُكُمْ وَمَا تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَأَدْعُواْ رَبِّي عَسَىٰٓ أَلَّآ أَكُونَ بِدُعَآءِ رَبِّي شَقِيًّا ﴿٤٨﴾ فَلَمَّا ٱعْتَزَلَهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَكُلًّا جَعَلْنَا نَبِيًّا ﴿٤٩﴾ وَوَهَبْنَا لَهُم مِّن رَّحْمَتِنَا وَجَعَلْنَا لَهُمْ لِسَانَ صِدْقٍ عَلِيًّا ﴿٥٠﴾﴾ [مريم].

السِّياق الرَّابع:

﴿قَالُواْ حَرِّقُوهُ وَٱنصُرُوٓاْ ءَالِهَتَكُمْ إِن كُنتُمْ فَٰعِلِينَ ﴿٦٨﴾ قُلْنَا يَٰنَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَٰمًا عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ ﴿٦٩﴾ وَأَرَادُواْ بِهِۦ كَيْدًا فَجَعَلْنَٰهُمُ ٱلْأَخْسَرِينَ ﴿٧٠﴾ وَنَجَّيْنَٰهُ وَلُوطًا إِلَى ٱلْأَرْضِ ٱلَّتِي بَٰرَكْنَا فِيهَا لِلْعَٰلَمِينَ ﴿٧١﴾ وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ نَافِلَةً وَكُلًّا جَعَلْنَا صَٰلِحِينَ ﴿٧٢﴾ وَجَعَلْنَٰهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا وَأَوْحَيْنَآ إِلَيْهِمْ فِعْلَ ٱلْخَيْرَٰتِ وَإِقَامَ ٱلصَّلَوٰةِ وَإِيتَآءَ ٱلزَّكَوٰةِ وَكَانُواْ لَنَا عَٰبِدِينَ ﴿٧٣﴾﴾ [الأنبياء].

السِّياق الخامس:

﴿فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِۦٓ إِلَّآ أَن قَالُواْ ٱقْتُلُوهُ أَوْ حَرِّقُوهُ فَأَنجَىٰهُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلنَّارِ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأَيَٰتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٢٤﴾ وَقَالَ إِنَّمَا ٱتَّخَذْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ أَوْثَٰنًا مَّوَدَّةَ بَيْنِكُمْ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ثُمَّ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يَكْفُرُ بَعْضُكُم بِبَعْضٍ وَيَلْعَنُ بَعْضُكُم بَعْضًا وَمَأْوَىٰكُمُ ٱلنَّارُ وَمَا لَكُم مِّن نَّٰصِرِينَ ﴿٢٥﴾ ۞ فَـَٔامَنَ لَهُۥ لُوطٌ وَقَالَ إِنِّي مُهَاجِرٌ إِلَىٰ رَبِّيٓ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٢٦﴾ وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَجَعَلْنَا فِي ذُرِّيَّتِهِ ٱلنُّبُوَّةَ وَٱلْكِتَٰبَ وَءَاتَيْنَٰهُ أَجْرَهُۥ فِي ٱلدُّنْيَا وَإِنَّهُۥ فِي ٱلْأَخِرَةِ لَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٢٧﴾﴾ [العنكبوت].

السِّياق السَّادس:

﴿ قَالُواْ ٱبۡنُواْ لَهُۥ بُنۡيَٰنٗا فَأَلۡقُوهُ فِي ٱلۡجَحِيمِ ﴿٩٧﴾ فَأَرَادُواْ بِهِۦ كَيۡدٗا فَجَعَلۡنَٰهُمُ ٱلۡأَسۡفَلِينَ ﴿٩٨﴾ وَقَالَ إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَىٰ رَبِّي سَيَهۡدِينِ ﴿٩٩﴾ رَبِّ هَبۡ لِي مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٠٠﴾ فَبَشَّرۡنَٰهُ بِغُلَٰمٍ حَلِيمٖ ﴿١٠١﴾ فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ ٱلسَّعۡيَ قَالَ يَٰبُنَيَّ إِنِّيٓ أَرَىٰ فِي ٱلۡمَنَامِ أَنِّيٓ أَذۡبَحُكَ فَٱنظُرۡ مَاذَا تَرَىٰۚ قَالَ يَٰٓأَبَتِ ٱفۡعَلۡ مَا تُؤۡمَرُۖ سَتَجِدُنِيٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٠٢﴾ فَلَمَّآ أَسۡلَمَا وَتَلَّهُۥ لِلۡجَبِينِ ﴿١٠٣﴾ وَنَٰدَيۡنَٰهُ أَن يَٰٓإِبۡرَٰهِيمُ ﴿١٠٤﴾ قَدۡ صَدَّقۡتَ ٱلرُّءۡيَآۚ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجۡزِي ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴿١٠٥﴾ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلۡبَلَٰٓؤُاْ ٱلۡمُبِينُ ﴿١٠٦﴾ وَفَدَيۡنَٰهُ بِذِبۡحٍ عَظِيمٖ ﴿١٠٧﴾ وَتَرَكۡنَا عَلَيۡهِ فِي ٱلۡأٓخِرِينَ ﴿١٠٨﴾ سَلَٰمٌ عَلَىٰٓ إِبۡرَٰهِيمَ ﴿١٠٩﴾ كَذَٰلِكَ نَجۡزِي ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴿١١٠﴾ إِنَّهُۥ مِنۡ عِبَادِنَا ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴿١١١﴾ وَبَشَّرۡنَٰهُ بِإِسۡحَٰقَ نَبِيّٗا مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١١٢﴾ وَبَٰرَكۡنَا عَلَيۡهِ وَعَلَىٰٓ إِسۡحَٰقَۚ وَمِن ذُرِّيَّتِهِمَا مُحۡسِنٞ وَظَالِمٞ لِّنَفۡسِهِۦ مُبِينٞ ﴿١١٣﴾ وَلَقَدۡ مَنَنَّا عَلَىٰ مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ﴿١١٤﴾ ﴾ [الصّافات].

السِّياق السَّابع:

﴿ هَلۡ أَتَىٰكَ حَدِيثُ ضَيۡفِ إِبۡرَٰهِيمَ ٱلۡمُكۡرَمِينَ ﴿٢٤﴾ إِذۡ دَخَلُواْ عَلَيۡهِ فَقَالُواْ سَلَٰمٗاۖ قَالَ سَلَٰمٞ قَوۡمٞ مُّنكَرُونَ ﴿٢٥﴾ فَرَاغَ إِلَىٰٓ أَهۡلِهِۦ فَجَآءَ بِعِجۡلٖ سَمِينٖ ﴿٢٦﴾ فَقَرَّبَهُۥٓ إِلَيۡهِمۡ قَالَ أَلَا تَأۡكُلُونَ ﴿٢٧﴾ فَأَوۡجَسَ مِنۡهُمۡ خِيفَةٗۖ قَالُواْ لَا تَخَفۡۖ وَبَشَّرُوهُ بِغُلَٰمٍ عَلِيمٖ ﴿٢٨﴾ فَأَقۡبَلَتِ ٱمۡرَأَتُهُۥ فِي صَرَّةٖ فَصَكَّتۡ وَجۡهَهَا وَقَالَتۡ عَجُوزٌ عَقِيمٞ ﴿٢٩﴾ قَالُواْ كَذَٰلِكِ قَالَ رَبُّكِۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلۡحَكِيمُ ٱلۡعَلِيمُ ﴿٣٠﴾ ۞ قَالَ فَمَا خَطۡبُكُمۡ أَيُّهَا ٱلۡمُرۡسَلُونَ ﴿٣١﴾ ﴾ [الذّاريات].

ومن دلالات سياق آيات (هود):

١- البشارة بإسحاق لأمِّ إسحاق.

٢- زمن البشرى حين مُرور الملائكة على إبراهيم وهم ذاهبون إلى قوم لوط.

٣- البشرى بإسحاق ويعقوب معًا.

٤- ليس في هذا السِّياق من كلام عن نبأ اعتزال إبراهيم وهجرته.

٥- تعجُّب امرأة إبراهيم من ولادتها وهي عجوز، وبعلها شيخ.

ومن دلائل سياق آيات سورة الحجر:

١- البشارة فيها بـ «غلام عليم»، ولا ذِكر فيها لاسمه.

٢- كان زمن البشرى أيضًا حين دخول الملائكة على إبراهيم وهم ذاهبون إلى قوم لوط.

٣- البشارة لإبراهيم، ولا ذكر لامرأته.

٤- تعجب إبراهيم من البشارة بولد مع كبره.

٥- لا خلاف بين أحد أنّ الغلام المبشَّر به هنا هو إسحاق، وإن لم يُذكَر اسمه.

٦- ويشبه هذا السِّياق سياق سورة الذَّاريات، غير أنَّ المتعجِّب من البشرى امرأةُ إبراهيم، ولا ذِكرَ فيه للكِبَر.

وأمَّا سياق سورة مريم؛ ففيه دلالة واحدة، هي أنّ الله وهب إبراهيم إسحاق ويعقوب بعد اعتزاله لأبيه وقومه، وأنَّه جعلهما نبيين. وأمَّا سياق سورة الأنبياء؛ ففيه من الدَّلالات:

١- ذِكر هبة إسحاق ويعقوب بعد قصة خروج إبراهيم سالمًا من النَّار التي ألقوه فيها.

٢- ذِكر ذلك بعد إنجاء لوط.

٣- ذِكر ذلك بعد الإخبار بالمكان الذي نُجِّيَ إليه، وهو الأرض المباركة.

وأمَّا سياق سورة العنكبوت؛ ففيه من الدَّلائل:

١- ذِكر هبة إسحاق ويعقوب بعد الإنجاء من النَّار.

٢- ذِكر ذلك بعد عزمه على الهجرة، وإيمان لوط له.

وأمَّا سياق سورة الصَّافات؛ ففيه من الدَّلائل كثير:

١- ورود قصَّة البشرى والذَّبح بعد قصة نجاة إبراهيم من النَّار.

٢- البشرى فيها بـ«غلام حليم»، وهو الموضع الوحيد. وأمَّا البشرى بالغلام العليم، فجاءت في سورتَي الحجر والذَّاريات، والغلام العليم هو إسحاق بلا خلاف.

٣- لم ترد قصة الذَّبح إلَّا في هذا الموضع.

٤- جاء في آخر القصة البشرى بإسحاق نبيًّا من الصَّالحين.

٥- قول الابن: ﴿سَتَجِدُنِيٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾، والدَّلالة -هنا- في كلمة (الصَّابرين)، وسنحتاج إليها.

٦- كانت البشرى بإسحاق بعد التَّنويه بإحسان إبراهيم، وسنعرف دلالة ذلك.

٧- في قوله سبحانه في خاتمة القصة: ﴿وَبَٰرَكۡنَا عَلَيۡهِ وَعَلَىٰٓ إِسۡحَٰقَ﴾ دلالة قريبة من وجه، بعيدة من وجه، سنذكرها في البحث، ونذكر ما يقويها ويرشحها.

٨- لا ذِكر لإسماعيل في هذه السِّياقات كلِّها.

فصل

حُجَّة من قال: الذَّبيح إسحاق، وذكر من قال به

قال أبو محمَّد:

سأذكر دليل من قال ذلك، بتقصٍّ، وأزيد دلائل على ما ذكروه إنصافًا للقول وقائله، وإمعانًا في التَّجرد للهداية إلى الحقِّ بإذن الله.

وأكبر ما استدلَّ به قائل هذا القول دليلان:

أحدهما: مجيء قصة الذَّبح بعد هِجران إبراهيم لقومه وما يعبدون، كما دلَّ على ذلك سياقات سُوَر مريم، والأنبياء، والعنكبوت.

الثَّاني: الغلام المبشَّر به واحد، والبشارة واحدة، ولا دليل على التَّفريق بين البشارتين إلَّا اختلاف الوصفين «عليم»، و«حليم»، ولا تنافيَ بينهما، ولا دليل على أنَّ إسحاق لم يكن حليمًا، ولم يزل الحلم قرين العلماء في كثير من الأحيان.

ويزاد على هذين الدَّليلين ما يعضدهما، ومن ذلك:

١ - أنّه مرويٌّ عن عدد من أكابر الصَّحابة، ومنهم: عمر، وعلي، وابن مسعود، والعباس، وابن عباس، وجابر، وابن عمر. ومن التَّابعين وتابعيهم: كعب الأحبار، وسعيد بن جبير، وقتادة، ومسروق، وعكرمة، وعطاء، ومقاتل، والزُّهري، والسُّدِّي، وعبد الله بن أبي الهذيل، وعبد الرحمن بن

سابط، ومالك بن أنس[١].

وجزم به ابن جرير، وتبعه كثير، وقال به الطَّبرانيُّ، والقرطبيُّ، ومال إليه السَّمرقنديُّ، ورجحَّه الواحديُّ، والعزُّ ابنُ عبد السَّلام.

٢- أنَّه قول أهل الكتابين؛ اليهود والنَّصارى.

وقد اعتُرض عليه بأنَّ هذا من حسدهم وتحريفهم، فإنَّ الذي عندهم أنَّ الله قال لإبراهيم: اذبح بكرك وحيدك، وقد اتَّفق أهل الكتاب وغيرهم أنَّ إسماعيل أكبر من إسحاق، بل في نص كتابهم أنَّ إسماعيل وُلِد ولإبراهيم ستّ وثمانون سنة، وولد له إسحاق وعمره تسع وتسعون سنة، ولكنَّ أهل الكتاب أقحموا إسحاق، فجعلوا الكلام: اذبح بِكرَك وحيدَك إسحاقَ، كذبًا وبهتانًا، وقالوا: معنى (وحيدك)، أي: الذي ليس عندك غيره؛ لأنَّه كان قد ذهب بإسماعيل وأمّه إلى مكة، فحرّفوا الكلم عن مواضعه؛ لأنَّ إسحاق أبوهم، وإسماعيل أبو العرب، فحسدوهم، فزادوا وحرَّفوا[٢].

٣- حديث «الذَّبيحُ إسحاق»[٣].

٤- والحديثُ الذي فيه: أنَّ النَّبيَّ ﷺ سُئل: أيُّ النَّسب أشرف؟ فقال:

---

(١) ينظر: تفسير ابن جرير، والتفسير الكبير للطبراني (٥/ ٣١٤).

(٢) ينظر: تفسير ابن كثير (٦/ ٣٨٥).

(٣) أخرجه البزّار (١٣٠٨) من حديث العباس مرفوعًا، وأعلّه برواية جماعةٍ له موقوفًا عن العباس من الطّريق نفسه.

«يوسف صدِّيق الله، ابن يعقوب إسرائيل الله، ابن إسحاق ذبيح الله، ابن إبراهيم خليل الله»[(١)].

وكلا الحديثين ضعيفٌ.

ومن أدلّتهم: أنّ الله قال: ﴿فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ ٱلسَّعۡىَ﴾ [الصافات: ١٠٢]، ولم يكن إسماعيل معه، إنّما الذي كان معه إسحاق. وهذه لا دليل عليها، فإنّ المعيّة تحصل ولو بمرّة واحدة.

ومن أدلّتهم: أنّ إسماعيل كان صيادًا، ومن عادة الصّياد أنّ يكون قليل الحلم. وهذه مجرّد فِريَة[(٢)].

أمّا الدَّليلان الأوَّلان فلا حُجَّة فيهما، لوجوه:

أحدهما: أننا لا ننكر أنَّ البشرى بإسحاق كانت بعد اعتزال إبراهيم لقومه، وأنَّ قصة الذَّبح كانت بعد ذلك أيضًا. بل نقول: إنهما كانا بعد ذلك، ولم يكن بينهما زمن طويل، وكان إبراهيم على كبرٍ حين وُلد له إسماعيل وإسحاق، وكذلك لا ننكر أنَّ البشرى بالغلامين كانت بعد ذلك، لكننا لا نعلم الزَّمن الذي كان بينهما، ومثل ذلك لا يعدّ حجَّة لو سلم من المعارض،

---

(١) أخرجه الطبراني (١٠٢٧٨)، وفي إسناده: بقية بن الوليد، مُدلِّس، وفيه: أبو عبيدة بن عبد الله بن مسعود، عن أبيه، ولم يسمع أبو عبيدة من أبيه.

(٢) سيأتي دحضها قريبًا في الوجه الأوّل في الفصل التّالي.

فكيف وقد دلَّت الأدلة على بُعده، بل ضعفه كما سيأتي في بيانه في تفصيل أدلة القول الآخر.

ومن عجيب ما استدلَّ به بعضُ من نصَر هذا القول قلبُ دليل الخصم: قول الله تعالى: ﴿ وَبَشَّرْنَٰهُ بِإِسْحَٰقَ نَبِيًّا مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١١٢﴾ ﴾ [الصافات: ١١٢]، وهو في آخر قصة الذّبح، وهذا من عجائب الاستدلال، وأعجبُ منه إقرارُ ابن جرير له، ولا أدري كيف يثبت ذلك في ذهن منصف خبير بأساليب الكلام، فإنَّه لا يقول منصف في مثل هذا: إنَّ المبشَّر بنبوته المصرَّح باسمه هنا هو الغلام السَّابق ذِكره، وهل يقول أحدٌ إذا قيل له: ذهب زيدٌ مع خادمه، وأمره فأطاعه فشكرْنا له ذلك وبشرناه بعمرٍو قوِيًّا من المخلصين. لا يقول: إنَّ عمرًا هو الخادم الذي سبق ذكره. سبحان الله!

وابن جرير -على جلالته وإمامته- له من الآراء والاختيارات البعيدة ما يُتعجَّب منه، ويُستغرب، ومن ذلك اختيار الوقف على ﴿يَشَآءُ﴾ في قوله سبحانه: ﴿وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ وَيَخْتَارُ﴾ [القصص: ٦٨]، على أنّ (ما) موصولة. وبعض الاختيارات في القراءات.

فصل

أدلَّة القول بأنَّ الذَّبيح إسماعيل، وذِكر من قال ذلك

قال أبو محمَّد:

وأمّا الوجوه والدَّلائل الدَّالة على أنّه إسماعيل فتزيد على عشرين، أذكرها من غير ترتيب في القوَّة، وبعضها استنباط وفهم منِّي، وفيها وجوه أطمع أن تكون فتحًا من الله، وكان الوجه الأخير منها، لولا أنني وجدتُ من قال به، وهي نعمة أخرى تقارب الفتح، والسَّبق وعدمه لا يقدِّمان ولا يؤخِّران، والعبرة بالدَّليل والبرهان، وكلّ منهما مفروحٌ به.

أمَّا السَّبق فهو دليلٌ على أنّ للاختيار سلفًا من الأولين، وفي هذا ما يذهب وحشة التَّفرد، وفي عدم السَّبق سرورٌ بالفتح الإلهيّ الذي يشعر به المرء، هذا إن كان حقًّا. وأمَّا إن كان غير حقٍّ وهُدي إلى الصَّواب، فللَّذة الحينية موضع في النَّفس، ولن يتبعها حسرة إلَّا إذا كان صاحبها لا يسرّ أيضًا بالتَّوفيق إلى الصَّواب والعلم بأن كان على غيره من قبل.

وأحد هذه الوجوه: أنَّه وصف الذَّبيح بالحِلم، وأمّا إسحاق فقد وصف بالعلم، والحلم في سياق الرِّضا بالذَّبح والاستسلام لأمر الله تعالى وطاعة الوالد. ومن آيات حلمه: صنيعه مع امرأته وصبره على تضجرها، حتى أمره أبوه بفراقها، كما جاء في قصَّته في الصَّحيح[1].

---

(١) صحيح البخاري (٣٣٦٤) عن ابن عباس. وهذا الوجه يذكره كثيرٌ من العلماء من حيث الجملة.

الثَّاني: وصف الله إسماعيل في سورة الأنبياء بأنَّه كان من الصَّابرين، وفي قصّة الذّبح قال الذّبيح: ﴿سَتَجِدُنِيٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾، ولم يوصف بذلك إسحاق(١).

الثَّالث: أنَّ الله أخبر في مواضع من كتابه أنَّه وَهَب إسحاق، كقوله تعالى: ﴿وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ نَافِلَةً﴾ [الأنبياء: ٧٢]، وقوله: ﴿فَلَمَّا ٱعْتَزَلَهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ﴾ [مريم: ٤٩]، والكريم لا يعود في هبته، وهو وجهٌ ذوقيٌ؛ لأنَّ لله ما أعطى وله ما أخذ، ولكن ذكره في سياق الهبة يرجّح أن يكون الذَّبيحُ غيرَه(٢).

الرَّابع: كان من وعد الذَّبيح لأبيه أن قال: ﴿يَٰٓأَبَتِ ٱفْعَلْ مَا تُؤْمَرُ سَتَجِدُنِيٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾ [الصافات: ١٠٢]، وقد أثنى الله على إسماعيل في سورة مريم، بأنّه كان صادق الوعد، فقال: ﴿وَٱذْكُرْ فِى ٱلْكِتَٰبِ إِسْمَٰعِيلَ إِنَّهُۥ كَانَ صَادِقَ ٱلْوَعْدِ وَكَانَ رَسُولًا نَّبِيًّا ﴿٥٤﴾﴾ [مريم](٣).

الخامس: أنّ الله قال في خواتم قصَّة الذَّبح: ﴿وَبَشَّرْنَٰهُ بِإِسْحَٰقَ نَبِيًّا مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١١٢﴾﴾ [الصافات]، وهو من أقوى الوجوه؛ لأنّه فرَغ من قصَّة

---

(١) ذكره طائفة من المفسرين، وهو في حكم الشّاهد، ولا يقوى على الاستقلال بالاستدلال.

(٢) ولا أعلم أحدًا سبق إلى ذكر هذا الوجه.

(٣) ألمح إليه بعض المفسرين.

الذّبح، وبيَّن الفداء وجزاء الإحسان، ثم بشَّر إبراهيم ببشارة أخرى، وهي البشارة بإسحاق، وفي ذلك من الكرم الإلهي ما لا يخفى؛ لأنّ الله زاده على امتثاله وشكره نعمةً أخرى من جنس النِّعمة التي ابتلي بها، وتلك عادة الله مع الشَّاكرين، وفي نحو ذلك قال الله جلّ شأنه: ﴿هَلْ جَزَآءُ ٱلْإِحْسَٰنِ إِلَّا ٱلْإِحْسَٰنُ ﴿٦٠﴾﴾ [الرحمن]، وقال تعالى في سورة إبراهيم (الآية: ٧): ﴿لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ﴾، وقد استدل بالآية السَّابقة مَن قال: الذَّبيح إسحاق، كما تقدَّم بيانه والرَّدّ عليه.

السَّادس: أنَّ البشارة وقعت مرّتين وبينهما فرقٌ واضحٌ، وهو أنَّ البشارة بالغلام الحليم كانت عن سؤال من إبراهيم، وأمَّا البشارة بإسحاق فلم تكن كذلك، ولا سألها إبراهيم، بدليل تعجبه من ذلك، وتعجب امرأته[1].

السَّابع: أنَّ إسماعيل هو البِكر، والابتلاءُ بالبكر أشدُّ، ومن الأدلة على أنَّ إسماعيل كان الابن الأوَّل لإبراهيم أنَّ أمَّه هاجَرَ لمّا حملتْه غارت امرأتُه سارَةُ؛ إذ كانت عقيمًا.

فإذا كان إسماعيل هو الأكبرَ، وهو البكرُ، فالابتلاء بالأمر بذبحه أشدّ، وأهل الكتاب يقولون: الابتلاء كان بولده البكر، ولكنهم يزعمون أنَّه إسحاق. وسياق الآيات يردّ عليهم[2].

---

(١) هذا الوجه ذكره السّيوطي في (الإكليل: ٢١٨)، وقال: لم أرَ من سبقني إلى استنباطه.
(٢) ذكره جمعٌ من أهل العلم، ومنهم ابن تيمية وابن القيم.

الثَّامن: أنَّ الله قال في بشارته لأمّ إسحاق: ﴿فَبَشَّرْنَٰهَا بِإِسْحَٰقَ وَمِن وَرَآءِ إِسْحَٰقَ يَعْقُوبَ﴾ [هود: ٧١]، ويعقوب هو ابن إسحاق، ولا يصحّ الابتلاء بذبح غلامٍ علِمَ أبوه يقينًا أنّه سيتزوّج ويكون له ولد.

وهو من أقوى الوجوه، وهو من أقوى الأدلة، وأشهرها[١].

التَّاسع: وممّا أستدلّ به: أنَّ الله ذكر إسماعيل في سورة الأنبياء في سياق من ابتُليَ في نفسه، وهم: أيوب، ويونس، وزكريا، ومريم، وإدريس، وذو الكفل، وإسماعيل. ولم يذكر إسحاق[٢].

العاشر: المتأمِّل في سياق الآيات في شأن إسماعيل وإسحاق وإبراهيم يجد أن تسلسل الحوادث كان على هذا النّحو:

أ- أراد قوم إبراهيم به كيدًا فخيَّبهم الله. وكانت البشرى بالغلام الحليم، والغلام العليم بعد ذلك، كما جاء في سياق قصته في سورة الأنبياء (٧١-٧٢): ﴿وَنَجَّيْنَٰهُ وَلُوطًا إِلَى ٱلْأَرْضِ ٱلَّتِي بَٰرَكْنَا فِيهَا لِلْعَٰلَمِينَ ﴿٧١﴾ وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ﴾. وفي سورة العنكبوت (الآية: ٧٢) قال بعد إنجائه من النَّار: ﴿وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ﴾. وقال في قصّة الذّبح: ﴿فَبَشَّرْنَٰهُ بِغُلَٰمٍ حَلِيمٍ ﴿١٠١﴾﴾ [الصافات]، وقال في سورة مريم (الآية: ٤٩) بعد تهديد أبيه له بالرَّجم

(١) من أشهر الأدلة التي يحتجّ بها في المقام. وعامّةُ أهل التفسير الذين ذكروا الخلاف هنا يذكرونه.

(٢) استدلالٌ لا يرقى إلى الدَّليل، ولكنه عاضد.

وإخباره عن اعتزاله لهم ولمعبوداتهم: ﴿فَلَمَّا ٱعْتَزَلَهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ ۖ وَكُلًّا جَعَلْنَا نَبِيًّا ﴿٤٩﴾﴾. وليس في سياق آيات هودٍ، ولا الحجرِ، والذَّارياتِ ذكرٌ لكيدهم، واعتزالِه لهم، وهجرتِه إلى ربّه.

ب- جميع البشارات بإسحاق أو بالغلام العليم ذُكرت في سياق قصَّة لوط، كما جاء في سياق آيات هود، والحجر، ومريم، والذَّاريات.

ج- ليس في سياق الصّافات الذي ورد في قصّته الذّبح، ذكرٌ للُوطٍ أصلًا، إلَّا بعد آيات في سياقات أخرى.

د- البشرى بإسحاق في جميع ألفاظها جاءت مسندة إلى الملائكة، والمبشر بها إبراهيم أو امرأته، فقال في سورة هود (الآية: ٧١): ﴿فَبَشَّرْنَٰهَا بِإِسْحَٰقَ﴾، والسِّياق شاهدٌ بأن المبشر هم الملائكة؛ لأنّهم يخاطبون إبراهيم ويخاطبهم.

هـ- وقال في سورة الحجر (الآية: ٥٣): ﴿إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَٰمٍ عَلِيمٍ﴾.

و- وفي سورة الذَّاريات (الآية: ٢٨): ﴿وَبَشَّرُوهُ بِغُلَٰمٍ عَلِيمٍ﴾.

ز- جاءت البشارة بالغلام الحليم وبإسحاق بعد إعلام إبراهيم بهجرته إلى ربّه في موضعين.

وكلُّ هذه يشير إلى تعدّد البشارتين.

الوجه الحادي عشر: وهو وجهٌ ادّعائي، قال الله عن إسماعيل وإدريس وذي الكفل: ﴿وَأَدْخَلْنَاهُمْ فِي رَحْمَتِنَا إِنَّهُمْ مِنَ الصَّالِحِينَ﴾ [الأنبياء: ٨٦]، وفي دعاء إبراهيم في قصة الذّبيح: ﴿رَبِّ هَبْ لِي مِنَ الصَّالِحِينَ (١٠٠)﴾ [الصافات][(١)].

الوجه الثَّاني عشر: لم يذكر إسماعيل مع إسحاق إلَّا مقدَّمًا عليه في جميع المواضع التي ذكر فيها الاسمان الكريمان، كقوله سبحانه: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي وَهَبَ لِي عَلَى الْكِبَرِ إِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ﴾ [إبراهيم].

وقوله: ﴿قَالُوا نَعْبُدُ إِلَٰهَكَ وَإِلَٰهَ آبَائِكَ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِلَٰهًا وَاحِدًا﴾ [البقرة: ١٣٣].

وقوله: ﴿آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنْزِلَ إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ﴾ [البقرة: ١٣٦].

وقوله: ﴿أَمْ تَقُولُونَ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ﴾ [البقرة: ١٤٠].

وقوله: ﴿آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ عَلَيْنَا وَمَا أُنْزِلَ عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ﴾ [آل عمران: ٨٤].

وقوله: ﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ﴾ [النساء: ١٦٣].

---

(١) هو قريب من الوجه التَّاسع، وهو استنباط أستأنس به.

وقوله: ﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى وَهَبَ لِى عَلَى ٱلْكِبَرِ إِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ ﴾ [إبراهيم: ٣٩].

وهذا دأبُ القرآن في ذِكر الأكبر، أبًا كان أم أخًا، ومن ذلك داود وسليمان، وإسحاق ويعقوب، ومن ذلك تقديم الجنِّ على الإنس، إلَّا لنكتة؛ لأنَّ الجنَّ خُلقوا من قبل. وكذلك تقديم المشرق على المغرب، فإن قيل: جاء تقديم موسى على هارون في القرآن في جميع المواضع إلَّا في موضع واحد، وكان هارونُ هو الأكبرَ، قلنا: موسى هو المقصود بالذِّكر، وهو صاحب الرِّسالة الأوَّل، وإنَّما كان هارون وزيرًا له، هذا إن سُلِّم بأنَّ هارون هو الأكبر، فليس لدينا في ذلك دليلٌ، إلَّا ما يُقال في التَّواريخ بلا إسناد.

وفي هذا كلِّه ما يُبعِدُ قول من قال: إسحاق هو الأكبر، وأصل المقدمة المنطقية على هذا النَّحو:

أُمر إبراهيم بذبح ابنه الأكبر، والأكبرُ هو إسماعيل، والنتيجة: أُمِر إبراهيمُ بذبح إسماعيلَ[1].

الوجه الثَّالث عشر: احتجّ بعضهم بالخبر المشهور «أنا ابن الذَّبيحين»[2]، وهو حديثٌ في إسناده مقال، ومعناه صحيحٌ، فإنَّه عليه الصَّلاة والسَّلام من

---

(١) وجهٌ ظهر لي.

(٢) ذكره الحاكم في (المستدرك ٢/ ٥٥٩) دون إسناد، فهو حديثٌ لا أصل له.

ذريّة إسماعيل، والذّبيحان؛ والده عبد الله، وإسماعيل، وإنّما ذكَرنا هذا الوجه مع أننا لا نصِّحح الحديثَ؛ لأنَّه ممَّا استُدِلّ به في هذا المقام.

الوجه الرَّابع عشر: أنَّ قصَّة الذّبح كانت بمكة، وإسماعيل كان بها، ولم يكن إسحاق.

وعن الأصمعي: قال: سألتُ أبا عمرو ابن العلاء عن الذَّبيح، فقال: يا أصمعي، أين عقلك؟ ومتى كان إسحاق بمكة، وإنّما كان إسماعيل بمكة، وهذا الذي بنى البيتَ مع أبيه، والمنحرُ بمكّة.

الوجه الخامس عشر: أنَّ إبراهيم الخليل لمَّا أمر بذبح ابنه عرض له الشَّيطان عند الجمرات الثَّلاث، فرماه عند كلِّ جمرة بسبع حصيات، ثمّ مضى لِأمر الله[١].

الوجه السَّادس عشر: أنَّ الله فداه بذبح عظيم، والوارد في الأخبار أنَّ قرن الكبش عُلِّق بالكعبة، ولو كان الذّبيح إسحاقُ لكان بالشَّام[٢].

قال أبو محمَّد:

وبعضُ مَن يقول: إنَّه إسحاقُ، يقول: إنَّ إبراهيم سار بإسحاقَ إلى مكَّةَ في غداة واحدة، وحصل ذلك كلُّه في زمن يسير، والله على كلِّ شيء قدير، فسقط الاحتجاج بهذه الوجوه الثَّلاثة، وممّن قال بهذا: سعيد بن جبير[٣].

---

(١) تفسير البغوي (٤/ ٣٤)، والقرطبي (١٨/ ٧١).

(٢) هذه الوجوه الأربعة المتقدمة شائعة معروفة، ذكرها القرطبيُّ وغيره.

(٣) ينظر: القرطبي (١٨/ ٦٢).

الوجه السَّابع عشر: جاء في دعاء إبراهيم: ﴿رَبِّ هَبْ لِي مِنَ الصَّالِحِينَ (١٠٠)﴾ [الصافات]، وهو دعاءٌ يُفهَم منه أنه يطلب ولدًا صالحًا، وهو صادق على الولد الواحد وعلى غيره، وإذا كان كذلك فهو دليلٌ على أنَّه لم يكن له ولدٌ من قبل، وقد أجمعوا على أنَّ إسماعيل متقدِّمٌ على إسحاق في الولادة، فثبت بهذا أنَّ المطلوب بالدّعاء هو إسماعيل، وهو الذي جاء في سياق الذَّبح[1].

الوجه الثَّامن عشر: وممّا استُدلّ به أنَّ من سنة الله في إجابة التَّائبين وعطاءات المحسنين جزاءَهم بالإحسان، وزيادتَهم من كرمه الإلهي، كما في قصة آدم، ويونس، وداود، وأيوب، وزكريا، وهنا زاده الله من جنس ما ابتُلي به، فوهَب له إسحاق، وأعطاه إيَّاه بلفظ الهبة التي تكون بمنزلة الجائزة والمكافأة على إحسانه، فقال: ﴿وَبَشَّرْنَاهُ بِإِسْحَاقَ نَبِيًّا مِّنَ الصَّالِحِينَ (١١٢)﴾ [الصافات]، ولا تكون عن جنس سابقتها إلَّا إذا كان نبيًّا صالحًا.

الوجه التَّاسع عشر: وممَّا أستدِلُّ به أنَّ الله قال: ﴿وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ نَافِلَةً﴾ [الأنبياء، والنَّافلة الزَّائدُ على الأصل، والنَّافلة هنا هو يعقوب، وهو المجمع عليه في التَّفسير، ولو قيل: كلاهما نافلةٌ لما كان في ذلك دليلٌ على منعه في الآية، ولم يكن في اللغة ما يدفعه. ويُشكل عليه أنّه لم ينقل في التفسير أنّ كليهما كان نافلة.

(١) ذكر هذا الوجه الرَّازيُ في (تفسيره ١٦/ ١٥٤).

الوجه العشرون: أنّه كان متشوِّقًا لإسماعيل طالبًا له، والامتحانُ به أشدّ، وقد سبق أنّه هو الأوَّل في الوجود بإجماع.

الوجه الحادي والعشرون: أنَّ البشارة بإسحاق في جميع المواضع كلّها في سياق مرور الملائكة على إبراهيم، وهو سياق آخر لا يشبه سياق قصة الابتلاء بالذَّبح.

الوجه الثَّاني والعشرون: البشرى بالغلام الحليم كانت قبل البشرى بإسحاق، كما يدلّ على ذلك سياق البشريين، فقد بُشِّر بالغلام الحليم حين ذهابه إلى الشَّام أو إلى مكة، قال سبحانه: ﴿فَبَشَّرْنَٰهُ بِغُلَٰمٍ حَلِيمٍ ﴿١٠١﴾﴾ [الصافات]، بعد قوله: ﴿وَقَالَ إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَىٰ رَبِّي سَيَهْدِينِ ﴿٩٩﴾﴾ [الصافات]، وهذا بعد قصة إلقائه في النَّار، وأمَّا البُشرى بإسحاق فكانت بعد إيمان لوط به، وبعد هجرته، وحين مرور الملائكة عليه وهو بالشَّام، كما يدلّ عليه سياق سُوَرِ الأنبياء، والعنكبوت، وهود، والذَّاريات، والحجر. والظَّاهر أيضًا أنّ المدَّة التي كانت بين البُشريَين ليست طويلة، فإنَّ السِّياق في سورة مريم يدلّ على أنَّ هِبة إسحاق ويعقوب كانت بعد اعتزاله لهم ولمعبوداتهم. ومن العلماء من يقول: لم تزد المدّة بينهما على ثلاث سنين.

الوجه الثَّالث والعشرون: الابتلاء كان لإبراهيم وحده، وهذا هو الأوفق بحال إسماعيل؛ لأنَّه كان قد فقد أمَّه ولم تبشَّر به، كما بُشِّرت أمّ إسحاق، ولو كان الابتلاء بالذَّبح لإسحاق لكان ابتلاء لإبراهيم وامرأته، ومن البعيد أن يُخفي إبراهيم عنها ذلك، وإنَّما أثنى الله على صنيع إبراهيم وحده، وقال:

﴿سَلَٰمٌ عَلَىٰٓ إِبۡرَٰهِيمَ ١٠٩ كَذَٰلِكَ نَجۡزِي ٱلۡمُحۡسِنِينَ ١١٠﴾ [الصافات]، وصبرُ الأمّ في هذا المقام أعظم، ولم يُذكر من ذلك شيءٌ.

الوجه الرَّابع والعشرون - وقد ظهر لي بعد التَّأمّل -: أنَّ البشارة بإسحاق بشارة بغلام عليم، والعلم الكثير الذي يكون به الإنسان عليمًا لا يحصل في العادة إلَّا بعد الرُّشد، وأمَّا الحلم الذي وُصف به الذَّبيح فهو سجيَّة تخلق مع صاحبها.

الوجه الخامس والعشرون: أنَّ قوله سبحانه: ﴿وَبَشَّرۡنَٰهُ بِإِسۡحَٰقَ نَبِيّٗا مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ١١٢﴾ [الصافات] يساوي البشارة بغلام عليم؛ لأنَّ الغلام: إسحاق، والنُّبوة: العلم، وهل النَّبوة إلَّا علمٌ وهْبيٌّ يؤتيه الله من يشاء من عباده؟!

الوجه السَّادس والعشرون: أنَّ إبراهيم أُمِرَ بالهجرة إلى مكَّة حين وَلدتْ هاجر إسماعيلَ، واشتدت غيرةُ سارَة، فأُمر بالهجرة بها لإطفاء نار الغيرة عندها، وهذا من رأفة الله ورحمته، فكيف يأمرُ الله سبحانه إبراهيمَ بعد هذا أن يذبح ابنها ويدع ابن الجارية؟ بل حكمته البالغة اقتضت أن يؤمر بذبح ابن الجارية، وحينئذٍ يرقّ قلب السَّيدة على ذلك الولد، وتنطفئ نار الغيرة، ويظهر لها بركة هذه الجارية وولدها، وأنَّ الله لا يضيع بيتًا فيه هذه الجارية وابنها، ويُرِي عباده جبره بعد الكسر، ولطفَه بعد الشّدّة[1].

---

(١) ذكر هذا الوجه ابن القيم في (زاد المعاد ١/ ٧٤)، نقلًا عن ابن تيمية.

الوجه السَّابع والعشرون: أنّ الحلم قرين الصّبر، وقد وصف الله إسماعيل بالصّبر في سورة الأنبياء، وذكرَ الوصفين الحلمَ والصّبرَ في قصّة الذّبح.

الوجه الثامن والعشرون: أنه قد ورد في التوراة الوحيُ إلى إبراهيم: أن اذبح وحيدَك الذي تحبه.

قال المحققون: وما ورد من ذكر إسحاق بعد جملة «الذي تحبه» فهو من زعمات اليهود، وحسدهم، وأباطيلهم. ويشهد له أن بِكره إسماعيل لا إسحاق، كما تقدم.

الوجه التاسع والعشرون: الدَّليل القويّ الذي غفل عنه عامّة المفسِّرين، هو قوله جلّ شأنه: ﴿وَبَٰرَكۡنَا عَلَيۡهِ وَعَلَىٰٓ إِسۡحَٰقَ﴾ [الصافات: ١١٣]، فالضَّمير في (عليه) عائدٌ على المتلول للجبين، لا على إبراهيم، وذلك من وجوه:

أحدها: أنَّ المباركة في القرآن تُذكر عند خلق الشَّيء وإيجاده وفي باكورة حِدْثانه، وإبراهيم عليه السلام قد بورك فيه وعليه، وهو إذ ذاك طاعنٌ في السِّنّ وشمسُ حياته موشكة على الأفول، والمباركة غير البركة، ولو قيل: الضّمير يعود إلى الذّبيح لكان أنسب وأوفق فيما يظهر.

الثاني: الأصل في نظم الكلام -لو كان المراد به إبراهيمَ وإسحاقَ- أن يقول: وباركنا عليهما؛ إذا لا إشكال حينئذ في المراد، ولم يُظهر المفسرون نكتة في إظهار اسم إسحاق في موضع إضماره.

الثّالث: قوله: ﴿وَمِن ذُرِّيَّتِهِمَا﴾، أي: من ذريّة إسماعيل (الذّبيح) ومن ذرية إسحاق، والأمر في هذا واضحٌ؛ لأنّهما فرعان تفرّع عنهما محسنون وظالمون، ولو كان المراد: إبراهيم وإسحاق، لما كان في ذكر التّثنية فائدة، فإنَّ ذريّة إسحاق من ذريّة إبراهيم، ألا ترى إلى قوله سبحانه في سورة العنكبوت (الآية: ٢٧): ﴿وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَجَعَلْنَا فِى ذُرِّيَّتِهِ ٱلنُّبُوَّةَ وَٱلْكِتَٰبَ﴾، أي: في ذريّة إبراهيم، أو في ذريّتهما.

الرّابع: من المرشِّحات لفهم ذلك، ذكرُ موسى وهارون بعدهما، وهما أخوان.

قال أبو محمَّد: من العلماء مَن سلك في هذه المسألة مسلك التّوقف، وعدَّه القرطبي قولًا ثالثًا. وهو قول الزَّجاج[1].

والقائلون بأنّه إسماعيل هم على الحقيقة جمهور علماء السّلف والخلف، ومنهم: ابن عمر، وأبو هريرة، وابن عبّاس في رواية، وأبو الطّفيل، والحسن البصري، وسعيد بن المسيب، ومجاهد، والرّبيع، وعطاء، ومحمّد بن كعب القرظي، والكلبي، وهو قول أحمد، وقال به كثير من المفسرين.

---

(١) ينظر: القرطبي (١٨/ ٦٥).

شوارد البحث

قال أبو محمّد: هذا فصلٌ سمّيته شوارد البحث، يجمع متفرقات تندُّ عن الفصول السّابقة، ولا تصلح أن تُفرد، ولا أن تُدرج فيما سبق، وهي سنة حسنة، إن شاء الله، لمن أراد أن يستنَّ بها من الباحثين:

الأولى: لِم سُمِّيَ المتلول للجبين الذَّبيحَ، وهو لم يُذبح؟

والجواب عن ذلك: تسميته بذلك لم ترد في الكتاب ولا في السّنة، إلَّا ما جاء في الحديث الذي لا أصل له: «أنا ابن الذَّبيحين»، قال ابن حزم: هو قول عامي، وإنّما أطلق عليه ذلك مسامحةً؛ لأنَّ إبراهيم حمَل السِّكين على حَلقه[١].

وأمَّا اللَّغة فإنها تَسَعُ ذلك، ويُحمل على ما سيكون لو كان، ونظَّر له العلماء بنظائر:

منها: قول النَّبيِّ ﷺ: «المتبايعان بالخيار»[٢]، والمتبايعان قبل البيع هما المتساومان.

ومن ذلك: قوله تعالى: ﴿وَإِذَا طَلَّقْتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَبَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَأَمْسِكُوهُنَّ﴾ [البقرة: ٢٣١]، أي: إذا بلغن أجلهن.

الثَّانية: يعتقد اليهود أنَّ موضع ذبح إسحاق بجبل معلوم بمدينة «نابلس»[٣].

---

(١) المحلّى (٧/ ٢٤٠).

(٢) متفق عليه من حديث ابن عمر رضي الله عنهما.

(٣) ذكر ذلك الزّبيديُّ في (تاج العروس: نبلس).

الثَّالثة: لا يسوغ علمًا ولا أدبًا ولا ذوقًا تجريح كلِّ من كانت مخالفته لدليل رآه، أو لأثر وافقه، أو لنظر عمل به، حتى يُعلم أنّه قال ذلك القول عن تقليد محْض، أو هوًى متَّبع، والعلم بذلك بعيد.

الرَّابعة: ذكر ابن القيم أنَّ القول بأنَّ الذَّبيح هو إسحاق باطل من أكثر من عشرين وجهًا.

الخامسة: استُدلَّ بالقصة على جواز النسخ قبل الفعل؛ لأنَّ إبراهيم أُمر بالذبح، ثم رُفع الحكم ولم يتمكّن من الذبح.

السّادسة: صنَّف في هذه المسألة غير واحد من العلماء، كالسِّيوطي وابن العربي، ولكني لم أظفر من ذلك بشيء، وما أظنّ التَّفاسير قد ضيَّعت شيئًا من تلك الأقوال.

السَّابعة: لم يقل أحدٌ بأنَّ إسحاق هو الأكبر، إلَّا طائفة قليلة من المفسرين، منهم القرطبي، والأدلة والإجماع المحكي يشهدان بأنَّ إسماعيل هو الأكبر، إلَّا ما جاء عن أهل الكتاب.

الثامنة: من الغرائب قول بعضهم: إن ذلك وقع مرتين؛ مرة بالشام لإسحاق، والأخرى بمكة لإسماعيل، وهو قول عجيب غريب؛ ومن أوهى أنواع الجمع في المتعارضات: الحمل على التعدد بلا دليل.

التاسعة: احتجَّ ابن تيمية وابن القيم بأنَّ إسحاقَ بُشر به إبراهيم على كبر، وأمَّا إسماعيل فقبل ذلك، ولكن يُشكل عليه قوله سبحانه: ﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى وَهَبَ لِى عَلَى ٱلْكِبَرِ إِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ ﴾ [إبراهيم: ٣٩].

وهنا ينتهي الكلام في تعيين أيّ هذين النبيين هو الذبيح.

وثمرة هذه النتيجة: المشاركةُ في تقليل الجدل في المسألة، وإظهار أنواع من الاستنباط، وبيانُ دقائق القرآن، وحثُّ العقول على التدبُّر، والسرور بالحق المتوَّج بدليله؛ وفي إثباته مزيدُ فضل للنسب الشريف.

والله الموفِّق، لا إله إلا هو، له الحمد في الأولى والآخرة. نسأله أنْ يهديَنا إلى ما اختُلف فيه بإذنه ﴿رَبِّ ٱجْعَلْنِى مُقِيمَ ٱلصَّلَوٰةِ وَمِن ذُرِّيَّتِى ۚ رَبَّنَا وَتَقَبَّلْ دُعَآءِ ﴿٤٠﴾ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لِى وَلِوَٰلِدَىَّ وَلِلْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ يَقُومُ ٱلْحِسَابُ ﴿٤١﴾﴾ [إبراهيم].

معاني حروف المعجم

(نظمٌ وشرحُه)

أ. د. عبد العزيز بن علي الحربي

توطئة

بسم الله الرّحمن الرّحيم

اللهمّ صلِّ على نبيِّنا محمّد وعلى آله وصحبه، وبعد؛

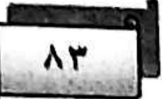
ليس في اللّغة العربية ولا غيرها لفظٌ مستعملٌ لا معنى له، أو لا مفهوم له، وإلَّا فلأي معنًى يقوله المتكلِّم؟

ولما كانت أسماء حروف الهجاء دالَّة على مسمَّياتها -وفي ذلك دلالة كافية- ظنّ كثيرٌ من النَّاس أنّها لا معنى لها سوى ذلك، ولكنّ المعاجم كشفت عن معنًى لكلِّ حرف، ولبعضها معانٍ. والظّاهرة التي تُلمح من عامّة هذه المعاني أنّها من وضع البادين في الأعراب؛ لأنّ جمهور معانيها دالٌّ على ما يُكنى عنه ممّا هو موضعُ حياء أو سَتْر، أو يَكثر وجوده في البادية من الشّجر والدّواب والطّير.

وكثيرٌ من هذه المعاني غير مشهور، ولا يكاد يَعرف الدّارسون من معاني الحروف سوى معنى حرف العين؛ لأنّه من المستعمل، وأمّا ما عدا ذلك فلا يُستعمل في مجتمع ولا كتاب، إن هي إلَّا أسماءٌ سُمِّيت بها أشياءُ، ونقَلها بعضهم عن ذوي المعاجم، وفي بعضها ما لا يُعرف إلَّا من طريق الخليل بن أحمد، وهو ثقةٌ ثبتٌ.

نظمتُ هـذه المعـاني في أربعـة وعشـرين بيتًـا مـن الرّجـز، مَـن حـذِقَها فُتحتْ له رَوزنة ينظر منها إلى سماء اللّغـة وفضـائها، ويرتقـي إلـى منزلـة من منازلها.

عبد العزيز بن علي الحربي
مكة المكرمة
١٩/ ٠٣/ ١٤٣٧هـ



قال أبو محمد:

مقدمة النظم

حَمْـــدًا لِرَبِّـــي وصَـــلاةً دائمـــةْ

عَلـــى النَّبِـــيْ والعِتْـــرَةِ المُكَرَّمَـــةْ

وبَعْـــدُ؛ إنِّـــي نـــاظمٌ معْنَـــى الحُـــرُو

فِ كُلِّهـــا مُهْمَلَـــةً أوْ مُعْجَمَـــةْ

اشتمل النّظم على معاني الحروف الهجائيّة كلّها، معجمها ومهملها، ومن ذلك: لام ألف، وهذه الحروف يُقال لها: ألف باء، وحروف الهجاء، وحروف المعجم، وهي كذلك حروف أبجد هوّز، غير أنّ فريقًا من النّاس يخلطون في الاستعمال بينها وبين حروف المعجم في سياق التّرتيب، فإنّ هذه الحروف لها ترتيب في المعجم يختلف عن التّرتيب الأبجديّ، ولها ترتيب مخرجي يختلف عن ذينك التّرتيبين.

أمّا ترتيبها معجميًا فهو الّذي سنذكره هنا في النّظم، وأمّا التّرتيب الأبجديّ، فهو (أ، ب، ج، د، هـ، و، ز، ح، ط، ي، ك، ل، م، ن، س، ع، ف، ص، ق، ر، ش، ت، ث، خ، ذ، ض، ظ، غ)، وتُجمع في (أبجد، هوّز، حُطّي، كلمن، سعفص، قرشت، ثخذ، ضظغ)، وهذه الحروف بهذا التّرتيب لها استعمالان:

استعمال حسابيّ؛ لأنّ لكلّ حرف عددًا يقابله على هذا النّحو:

أ	١	ك	٢٠	ش	٣٠٠
ب	٢	ل	٣٠	ت	٤٠٠
ج	٣	م	٤٠	ث	٥٠٠
د	٤	ن	٥٠	خ	٦٠٠
هـ	٥	س	٦٠	ذ	٧٠٠
و	٦	ع	٧٠	ض	٨٠٠
ز	٧	ف	٨٠	ظ	٩٠٠
ح	٨	ص	٩٠	غ	١٠٠٠
ط	٩	ق	١٠٠		
ي	١٠	ر	٢٠٠		

ولهذا الحساب أنواعٌ من الاستعمال، ومن ذلك التَّواريخ، وأعداد الحروف، لا سيّما في النَّظم، ومن ذلك قول بعضهم:

قــدْ خُبِــعَ ابــنُ مالــك في (خبعــا)

وهْــوَ ابــن (عِــهْ)، كــذا حكَــى مَــن قــد وَعــى

و(خبع) تساوي (٦٧٢) في حساب الجُمّل، أو (أبجد). و(عِهْ) تساوي (٧٥)؛ لأنَّ العين بسبعين، والهاء بخمسة، والنَّاظمون يحتاجون إلى ذلك؛ لأنَّ النَّاظم يُعجزُه ذكر تفصيل الرَّقم، أو يُطيل عليه الكلام.

وأمَّا الاستعمال الآخر، فهو استعمال تنجيميّ خرافيّ لا أصل له، ومنهم: من يذكره في الإعجاز العددي، ولذلك أصلٌ ورد في الحديث في الحروف المقطعة: (الر، والم)، قاله أهل الكتاب للنّبيّ ﷺ[1].

ولحروف المعجم ترتيب مخرجيّ، يبدأ بحروف الجوف، فحروف الحلق، فحروف اللِّسان، فالشَّفتين، وترتيبها على هذا النّحو:

أخي هاك علمًا حازه غير خاسر، قدِّر كلامًا جيِّدًا شريفًا يقرأ، ضمنته لك نُصحًا رفيعًا؛ طب دائمًا تقيًّا، صائمًا ساجدًا زكيًّا، ذاكرًا ظاهرًا ثابتًا، فاعمل بما وضَّحه محمَّد.

الحروف الأوائل من هذه الألفاظ مرتّبة ترتيبًا مخرجيًّا، من آخر الحَلْق إلى الشّفتين، والغُنّة في الميم المشدّدة من (محمّد)، وهو محمّد بن محمّد بن محمّد ابن الجَزريّ (ت ٨٣٣ هـ).

والّذي يميّز حروف المعجم العربيّة هو حرف الحاء؛ لأنّه لا يوجد في أيّ لغة أعجميّة، ثمّ حرف الظّاء، ثمّ حرف الضّاد، والمشهور هو حرف الضّاد، حتّى قيل: لغة الضّاد، ولذلك وجه مقبول، وهو أنّ الضّاد بمخرجها المستطيل، وبصفاتها الّتي منها الإطباق، والرّخاوة، والاستعلاء، لا توجد إلا

---

(١) أخرجه ابن جرير (التفسير ١/ ٢٢١) عن ابن عبّاس: أنّ حيي بن أخطب فسّر الألف في ﴿الٓمٓ﴾ بواحد، واللام بثلاثين، والميم بأربعين. وقال: «أفتدخلون في دين نبي إنما مدة ملكه وأجلِ أمته إحدى وسبعون سنة» في قصة طويلة. ضعّف أسانيدها أهل العلم.

في اللّغة العربيّة، وبين القرّاء المتأخّرين معارك طويلة في مخرجها خرجت ببعضهم إلى القول بإبطال صلاة المخالف، ويحدثون في كلّ حين ضجيجًا باعثُه التّعصّب، وقلّة الإنصاف، والتّقليد عند كثير منهم، والصّواب في ذلك: أنّ لهجات العرب مختلفة في النّطق بها، وأنّهم على درجات في إخراجه مستطيلًا مستعليًا، كما اختلفوا في الجيم، والهمزة.

ولإبليس في شَغْلِنا -معشر القرّاء- بمثل هذا عن المعاني حِبالة ومصايد.

ومعرفة الحروف الهجائيّة مرتّبة ترتيبًا معجميًّا أمر لا بدّ منه لطالب العلم، وفي التّعليم الجديد لا يُعنون بذلك، والطّلاب لا يكادون يحفظونها مرتّبة، ولكنّهم يحفظون الحروف الإنكليزيّة مرتّبة حينما تفتق ألسنتهم بالكلام والتّعلّم.

وكأنّ المراد من ذلك عزلهم عن مصادر اللّغة ومعاجمها، فإذا أراد البحث عن لفظة في القاموس لم يستطع أن يعرف موضع الحرف ورُتبتَه، وهكذا سائر المعاجم، ومن ذلك معاجم القرآن والحديث والأعلام، والأماكن.

وفي الناس من يخلط بين الترتيبين الهجائي والأبجدي، فيقول عن كتاب مرتّب على حروف المعجم: مرتّب ترتيبًا أبْجَديًّا، وهو نوع من الخلط، يقع فيه كثير من الخاصة، من ثمّ عاجلتُ الزّملاء في «مجمع اللّغة العربيّة على الشّبكة العالميّة» بوضع قرار بشأنه، وهذه صورتُه:

بسم الله الرحمن الرحيم

المملكة العربية السعودية



الرقم :
التاريخ : ١ / ٥ / ١٤٢٥هـ
المشفوعات :

القرار الرابع

(غرّة شهر جُمادى الأولى ١٤٢٥ هـ)

استعمال لفظ (الحروف الأبجدية) مكان (الهجائية)

يرى المجمع أنّ استعمال مصطلح (الترتيب الأبجدي) مكان (الترتيب الهجائي) نوع من الخلط الذي يجب أن يجتنب؛ لما بينهما من اختلاف في الترتيب، فترتيب الحروف أبجديًا هو(ا، ب، ج، د، هـ، و، ز، ...الخ) وأما ترتيبها هجائيا فهو (ا، ب، ت، ث، ج، ح، خ...الخ) وتسمّى هذه الحروف على هذا النحو من الترتيب حروف المعجم، وحروف ألف باء.

لهذا يدعو المجمع أهل العلم والثقافة أن يستعملوا كلّ لفظ في معناه الذي وضع له؛ دفعا للّبس، وحفاظا على المقاصد الأصلية للمصطلحات.

وصلى الله وسلم وبارك على عبده ورسوله محمد وعلى آله وصحبه.

مجمع اللغة العربية
على الشبكة العالمية



الرابط www.m-a-arabia.com البريد الشبكي msa-arabia@hotmail.com
مكة المكرمة - جوال ٠٥٥٠٤٢١٩٩٩ - هاتف ٠٢٥٤٠٢٩٩٩ - ص ب ٦٥٥٩ الرمز البريدي ٢١٩٥٥
رقم التسجيل الإعلامي ت ع/١٤٣٢/٣٥ س ت / ١٠٢١٠٦٨٩٨٥

واعلم بأنّ المراد بالحروف المهملة؛ ما ليس بمنقوط، والمُعجم: هو المنقوط، وهو اسم مفعول من أَعْجَم الحرف، أي: أزال عُجْمته، فالهمز فيه للإزالة، ولا يقال عن الحرف: مهمل إلا إذا كان له ما يشبهه، فلا يقال عن الواو: مهمل، ولا الكاف، أو اللام، أو الألف. ولا بدّ أن يكون للحرف المعجم ما يشبهه أو يماثله في شكله، كالباء، والجيم، والشين، والغين، ويقال عن الباء: الباء الموحَّدة، حتى لا تلتبس بالياء أو التّاء أو الثّاء، فإذا قالوا:

بالموحّدة من غير ذكر الحرف، فلا بدّ من القول: المنقوطة من أسفل، حتى لا تشتبه بالنون الموحّدة المنقوطة من فوق، ويقولون في «التّاء»: المثنّاة.

وفي (الثّاء) المثلّثة، ويقولون في الياء: التّحتيّة. والإعجامُ واحدٌ، غير أنّ المغاربة يجعلون نقطة الفاء من أسفل، والقاف نقطة واحدة من فوق.

هذه مقدمة موطِّئة للكلام عن معاني الحروف، والآن نشرع في شرح الأبيات، وأصلُ معانيها منقولٌ ممّا نقَله أبو تراب الظّاهريُّ في كتابه «الموزون والمخزون» عن الهوّاريّ، ولكنني راجعتُ ما قاله، وحقّقتُ، وزدتُ فيه معانيَ أُخرَ مذكورة في «بصائر ذوي التّمييز»، في المعاجم.

معنى الألف

الألــفُ: الواحــدُ مِــن كُــلٍّ، ومَــنْ

لــيسَ لــهُ صــاحِبةٌ ولا أَمــةْ

الألف، معناه: الواحد من كلّ شيء، والّذي لا زوجَ له، وهو العَزَب؛ قال النَّاظم[1]:

لا تَـرْكَنَنَّ مِـن الـدُّنيا إلـى أَلِـفٍ

فمن يصَاحِبْ حقيرًا هانَ في الزَّمن

وقال الفيروزآبادي، صاحب القاموس، في كتابه «بصائر ذوي التّمييز في لطائف الكتاب العزيز»: «اشتُقَّت الأَلِف من الأُلفة؛ لأَنها أَصل الحروف، وجملة الكلمات، واللغات متأَلِّفة منها. والأَلْفُ من العدد سُمّى به، لكون الأَعداد فيه مؤتلفة؛ فإِنَّ الأَعداد أَربعة: آحاد، وعشرات، ومئات، وأُلوف. فإِذا بلغت الأَلْف فقد ائتلفتْ، وما بعده يكون مكرّرًا»، ثمّ ذكَرها[2]، قال: «السّابع والثّلاثون: الأَلِف اللُّغويُّ. قال الخليل: الأَلِف: الرجل الفَرْدُ، قال الشاعر:

---

(١) صنيع أبي تراب فيما نقله في «الموزون والمخزون» يوهم أنّ هذا البيتَ والأبيات الآتية التي جاء رَويُّها بالنّون على بحر البسيط مِن نظم الهوّاري، والظّاهر أنّ الهوّاري هو النّاثر وحسبُ، ولم أهتدِ إلى اسم ناظمها، والنَّظم فيه رِكَّة ورِقّة.

(٢) انظر: (٢/ ٤، ٥).

هنالـــك أَنـــت لا أَلِـــف مَهِـــينٌ   كأَنَّـــك في الـــوغى أَسَـــدٌ زَئِيـــرٌ

وقال صاحب (العُبَاب): الألِف: الرّجل العَزَب»[١].

(١) انظر: (٢/ ١١).

معنى الباء والتاء

والبـــاءُ: شَـــيْخٌ يَفَـــنٌ مُبَاشِـــرٌ

والتَّـــاءُ: معنًـــى لِأَوانِـــي الأَطْعِمَـــةْ

الباء، هو الشّيخ الّذي يُكثر المباشرة، واليَفَنُ: الرّجل الكبير.

والتَّاء: الآنية الّتي يُحلبُ فيها.

قال ناظم كلام الهوّاريّ في معنى الباء:

واحرصْ على المجدِ حرصَ الباءِ حينَ يَرى

عـــذْراءَ تَفْتِنُـــهُ بـــالمنظر الحسَـــنِ

وقال في التّاء:

وكُـــنْ جـــوادًا كـــريمَ الكَـــفِّ ذا هِبَـــةٍ

كالتّـــاء في النّـــوقِ يُـــروِي القـــومَ بـــاللَّبن

وقال الفيروز آبادي في «بصائر ذوي التمييز»[1]: «الباء اللّغويّ: هو الرّجلُ الشَّبِق، والباءُ أيضًا النّكاح».

ولم يُذكر المعنى اللّغويّ للتّاء في موضعه من «البصائر».

---

(١) (١٩٥/٢).

معنى الثاء والجيم

والثَّـا: الخيـارُ، والثَّنـا[١]، والجـيمُ: جَـا

لواحـــدٍ مِّـــنْ إبِـــلٍ مُّغْتَلِمَـــةْ[٢]

الثّـاء: اللَّيِّن مـن كـلّ شـيء، هـذا مـا نقَلـه أبـو تـراب عـن الهـوّاري، ولـم أعتمدْه، واعتمدتُ ما قاله الخليل، ونقَله الفيروزآبادي، وزاد في «التاج» مـا هـو بمعنـى الثنـاء، وقـد غيّـرتُ في الـنّظم بعـد عثـوري علـى مـا قالـه الخليل.

والجيم: الجَمَل المُغْتَلِم.

قال النَّاظم في الأوّل:

وابحث عـن الثّـاء في كـلّ الأمـور فمَـنْ

رأى الحقـائقَ أمسـى وهْـو ذو فِطَـنِ

وقال في الثّاني:

وكُن لَّدى الخَطبِ مثلَ الجيمِ جَدَّ به

طـولُ المسير، فلـم يتعـبْ ولـم يَهِـنِ

وجعَلها في «البصائر» الخيار من كلّ شيء، نقلًا عن الخليل.

---

(١) كان النّظم قبل ذلك: (والثّاء: كلّ لين..) إلخ.

(٢) انظر: البصائر، أوّل حرف التاء.

قال الشّاعر:

إذا ما أتى ضيفٌ، وقد جلّل الدُّجى
أتيتُ بثاءِ البرِّ واللّحمِ والسُّكَّرْ

ويشبه أن يكون البيت مصنوعًا.

وأمّا الجيم: فهو الجمل المُغْتَلِم، قال الشاعر:

كأنّي جيمٌ في الوغى ذو شكيمةٍ
ترى البُزْلَ منه راتعاتٍ ضوامِرا

وقال أبو عمرو الشّيباني: «الجيم في لغة العرب: الدِّيباج، وله كتاب في اللّغة سمَّاه (الجيم)، كأنّه شبّهه بالدّيباج لحُسنه».

هكذا قال الفيروز، ولكنّه وَهِمَ، فقال في «القاموس»: «الجيم: الإبل المُغْتَلِمَة».

واستدرك عليه الزّبيديّ وبيّن أنّ الصّواب هو الواحدُ مِن ذكورها.

والمعنى الأوّل - أعني الجمل الكبير - نقله أبو تراب، وعليه بيتُ النّاظم.

معنى الحاء

والحـــا: قبيلـــةٌ، وزجْـــرُ إبـــل
وامــــرأةٌ لِّســـانُها مثـــلُ الحُمَـــةْ(١)

الحاء: لها معانٍ، منها: اسم قبيلة من مذحِج، وزجرٌ للإبل، والمرأة البذيئة السّليطة اللّسان، وكلّ هذا تضمّنه النّظم.

وقال الفيروزآبادي نقلًا عن الخليل: الحاء عندهم: المرأة البذيئة اللّسان السّليطة، قال:

جُـدودي بنـو العنقـاء وابـنُ محـرِّق
وأنـت ابـن حـاءٍ بَظْرهـا مثـلُ مُنْخُـلِ

ومثل هذه الأشعار تشتمل على فحش ولغو، ولولا الحاجة إليها، ونقلُ العلماء لها من غير نكير لكان الإعراضُ عنها في مقامات الجدّ والأدب أولى.

---

(١) لسعةُ ذوات السُّمّ.

معنى الخاء والدال

والخــاءُ: رَمْــزٌ لِأَخٍ، أو شَــعْرُ عَــوْ
رَةٍ، ودَالٌ: مَــــرْأَةٌ مُنَعَّمَــــةْ

تضمّن البيت معنى حرفين:

- الخاء، وله معنيان، رمز للأخ، وشَعْرُ العورة.
- الدّال، وهو المرأة السّمينة المنعّمة.

وقال النّاظم في الخاء:

لا خيرَ فيمن لها وجهٌ يُرَى سَفَهًا
كخائهــا فمتــى أمَّنْتَهــا تهُــنِ[1]

وقال في الدّال:

وإنّمــا الحُســن في دالٍ منعّمــةٍ
حبيبــةٍ زانَهــا صــمتٌ علــى لَسَــنِ

قال الشّاعر في المعنى الأوّل:

هــو خــائي وإنّنــي لأخُــوهُ
لســتُ ممّــن يُضِــيعُ حــقَّ الخليــلِ

---

(١) هكذا في «الموزون والمخزون»، والأوفق: «تَخُنِ».

وهو رمز للأخ والخليل، كما في «البصائر»[1].

وقال الشاعر في معنى الدّال:

مُهَفْهَفَـــــةٌ حَـــوراءُ عُطْبُولـــةٌ

دالُ كـــأنَّ الهـــلالَ حاجِبُهـــا

والعطبولة: الطّويلة العنق، والمهفهفة: المرأة الّتي تكون دقيقة الخَصْر.

(١) (١/ ٥٢٠).

معنى الذال والراء

والـذَّالُ: عُـرْفُ الـدِّيكِ، أمَّـا راؤُهُـمْ:

فَهْـوَ القُـرَادُ وَهْـوَ مثـلُ الحَلَمَـةْ

الذّال: عُرف الدّيك. وأمّا الرّاء: فهو القُراد.

قال النَّاظم فيهما:

لا تُخْـلِ نفسَـك مِـن مجـدٍ تُمـاز بـه

فالـدِّيكُ لـولا وجـودُ الـذّال لـم يَبِنِ[١]

ولا تكـن مثـل راءٍ في الـذّباب لـهُ

ضُـرٌّ، وإنْ رُمـتَ منـه النّفـعَ لـم يَكُـنِ

وممّا ورد من الشّعر في معنى الذّال:

بـه بَـرَصٌ يلـوحُ بحاجبيـهِ

كـذالِ الـدِّيك يـأتلقُ ائتلاقـا

نقله الفيروزآبادي في «البصائر»، ولم يذكر في الرّاء شيئًا.

---

(١) يعني: لـم يظهر تميّزه، وليس معناه: أنّه لا يَظهر ولا يُرى إلا بذلك؛ لأنّ صاحبته الدّجاجة تُرى من دون ذلك.

معنى الزاي والسين

والـــزَّايُ: للأَكُـــولِ، والسِّـــينُ: اللَّحِيـــ
ـــمُ والشَّـــحِيمُ، وَيْحَـــهُ مـــا أَشْـــحَمَهْ!

الزّاي: الرَّجُل الكثيرُ الأكل، والسّين: الرَّجُل الكثير الشّحم واللّحم.

قال فيهما صاحب الهوَّاري:

واقنـعْ ولا تـكُ مثـلَ الـزّاي مـن رجُـلٍ
إذا رأى الأكـلَ يَسـعى سَـعيَ مُفْتَـتِنِ
وإنْ بصُـرتَ بسـينٍ لا ذكـاءَ لـه
فـلا يغرّنْـك عُظْـمُ الخَلْـق والبـدنِ

وأنشدوا في معنى الزّاي:

إذا احتفـل السَّـراة[1] تكـونُ داءً
وعنـد النّـاسِ زايٌ جَعْظـريُّ

ذكره الخليل. وترك الفيروزآبادي الكلام عن السّين، والمعنى المذكور في «الموزون والمخزون» عن الهوّاري.

(١) السَّراة: السّادة، جمع سَريّ، والجعظريّ: الفظّ الغليظ، أو الأكول الغليظ، أو المتَنفِّخ بما ليس عنده، ذكره في (القاموس).

معنى الشين

والشِّـــينُ: معنـــاه الّـــذي لا يَنْثَنِـــي

عـــن النّكَـــاحِ في الضُّـــحَى والعَتَمَـــةْ

الشّين: الرّجل الّذي لا يمَلّ النّكاح.

وقال صاحب الهوّاريّ:

وانهـضْ إلـى الخيـر مثـلَ الشِّـين لاحَ لـهُ

وجــهٌ وقــدٌّ كمثــل البــدرِ والغُصُــنِ

وفي «تاج العروس»:

إذا مـــا الصُّـــلبُ مَـــاهَ بحاجِبَيـــه

فأنـــت الشِّـــينُ تَفخَـــر بالوِقـــاعِ

معنى الصاد

والصَّـــادُ قِــدْرٌ مــن نُحــاسٍ يــا فتــى
وقَــدْ أتَــى للفــرخِ والــدِّيكِ سِــمَةْ

الصّاد: الدِّيك إذا تمرَّغ في التّراب، وقِدْرُ النُّحاس، والفَرخُ.

وقال صاحب الهوّاريّ:

وكُــنْ مــع الــدّهْر مثــلَ الصّــادِ يُقنعُــه
عَفْــرُ التُّــراب، ولَقْــطُ الحــبّ في الــدِّمنِ

ولم يشتمل إلا على معنى واحد، وهكذا سائرُ أبياته.

وفي «البصائر»: قال الخليل: الصَّاد عندهم: الدّيك، وقِدْر النّحاس، وأنشد على الدّيك قول ابن قيس الرّقيّات:

وإنّــي إذا مــا غبــتِ عنّــي متــيَّمٌ
كــأنّيَ صــادٌ في النّقــا أتمــرّغُ

وقال حسّان في القِدْر:

رأيــتُ قُــدُورَ الصّــادِ حــولَ بيوتنــا
قنابــلَ دُهمًــا في المبــاءَة صُــيَّمًا

والقنابل: جماعات الخيل، والدّهم: السّود، يريد أن القدور في عظمها كالخيل الّتي لا تأكل.

معنى الضاد

والضَّــادُ: معنـــى هُدْهُـــدٍ، وامــرأةٍ
كبيـــرةِ الثَّـــدْيِ، كمِثْـــلِ المَأكَمَـــةْ

الضَّادُ: الهدهد، والمرأة الكبيرة الثّديين، والمأكَمة هي: الكَفَل.

وقال صاحب الهوّاريّ:

واطلبْ لنفسِك عُذرًا فهو خلّص[١] منْ
يـديْ سـليمانَ ضـادَ الطّيـر مـن مِحَـنِ

وقال الخليل - كما في البصائر -: الضّاد عندهم الهدهد الضّعيف.

قال الشّاعر:

كـــأنّي ضـــادٌ يـــوم فارقـــتُ مالكًـــا
أنُـــوءُ إذا رمـــتُ القيـــامَ فأثقُـــلُ

والمعنى الثّاني ذكره في «الموزون والمخزون» عن الهوّاريّ.

(١) في «الموزون والمخزون»: [فهو أخلص من].

معنى الطاء

والطَّـــــاءُ: للسَّـــــنَامِ، أوْ لِشَـــــبِقِ

ومَهْـــبِطِ الـــوادي لـــدى مَـــنْ عَلِمَـــهْ

الطّاء: سنام البعير، والرّجل الّذي لا يشبع من الوِقاع، ومهبط الوادي.

وقال صاحب الهوّاريّ:

واحـذرْ فـؤدَاكَ مـن حُـبِّ النّسـاء، فكـم

جلـبنَ للطّـاءِ مـا يخشـى مِـن الفِـتَن

وبيته مشتمل على معنى واحد، وقوله:

واحذر فؤادك، بمعنى: امنعْ فؤادكَ.

وفي «البصائر»: قال الخليل: الطّاء: الرّجل الكثير الوِقاع، وأنشد:

إنّـي وإنْ قـلّ عـن كـلّ المنـى أمَلـي

طـاءُ الوِقـاعِ قـويٌّ غيـر عِنِّـينِ

ولـم أجـد المعنيـين الآخـرين إلا فيمـا نقلـه أبـو تـراب في «المـوزون والمخزون» عن الهوّاري.

معنى الظاء

والظَّاءُ: صوتُ التّيس، والعجوزُ قَد
تهــدَّل الثـــديان منهـــا هَرِمَـــةْ

الظّاء لها معنيان، صوت التّيس أو نبيبُه، قاله الزّبيديّ نقلًا عن ابن برّي، والعجوز المثْنيُّ ثديُها.

وأخذ النَّاظمُ المعنى الثّاني؛ فقال:

ولا تُغَـــرَّ بظـــاءٍ قـــامَ ناهـــدُه
بصـدرِ عَـذْرَا تـدعُّ القلـب للشّـجنِ

أي: تدفع القلب إلى الحزن.

وممّا أنشده الخليل في معنى الظّاء:

نكحـــتُ مِـــن حَيِّـــي عجـــوزًا هَرِمَـــة
ظـــاءَ الثُّـــدِيِّ كـــالحَنِيِّ هَذرمَـــة

وفي «المـوزون والمخـزون» عـن الهـوّاري: الظّـاء: المـرأة العظيمـة الثّديين، والإبلُ المقطّرة.

ولم أجد من ذكَر الإبل المقطّرة سواه. ولفظ «هرمة» في النّظم حالٌ.

معنى العين

والعَـيْنُ: عـينُ المـا، وشَـمْسُ، والرِّبـا
وذَهَـــبٌ، وعَيْنُـــكَ المُسَـــلَّمَةْ

العـين: لهـا معـانٍ كثيـرة، منهـا: العـين الجاريـة، والشّـمس، والرّبـا، والذّهب، وعين الإنسان، واقتصر الهوّاريّ على معنى مبتذَلٍ مرّ مثلُه، ويقلّ استعماله، وهو سنام الجمل؛ ومن ثَمَّ قال ناظم كلامه:

وكُـن مـن النّـاسِ مثـلَ العَـينِ في إبـلٍ
أعلـى وأطيـبُ مـا فيهـا فـلا تَهِـنِ

ولها معانٍ أخر، وهي من أوسع الألفاظ المشتركة، وأشهرها، وممّا نظمته من معانيها في نظم المشترك المسمّى «العجوز»:

والعـــين للجاســـوس وبصـــرٍ، رئـــيسِ
وانظـــرْه في القـــاموسِ والموضـــعِ المنْفَجِـــرِ

وغيرُ خافٍ ما في آخر البيت من النّظم من حُسنٍ، أعني: «وعينك المسلّمة».

معنى الغين والفاء

والغَـيْنُ: مثـلُ الغَـيْمِ، والفَـا: زَبَـدٌ
يكـونُ في المـا رَابيًـا يـا زَلَمَـةْ

الغين: كالغيم، وزنًا ومعنًى، وله معانٍ أخرى، ذكَرها في «البصائر»، واقتصرتُ على الأوّل.

والفاء: الزّبَدُ الّذي يكون رابيًا فوق الماء.

والزَّلمة: الرّجل، واستعمالُها شائع في بعض بلاد الشّام، كالأردنّ، وهي ممّا يُستدرَك على المعاجم؛ لأنّ مادّتها عربية، ثابتة عن العرب، وردتْ في القرآن الكريم، وجاءت على صيغة مشهورة في كلام اللّسان، ولم يذكر أنّها نُقلت عن غيرهم، وثبت عن العرب استعمال الزّلَم بمعنى الغلام الخفيف. وقد أدخلها «بوشر» في «معجمه»، وكذلك صاحب «تكملة المعاجم»[1].

وقال صاحب الهوّاريّ في الحرفين:

لا تُطـرَدَنَّ مـن الأبـواب عـن طمـعٍ
كـالغين إن شَـرَدَتْ يومًـا ولـم تكـنِ

---

(١) ذكرتُ في موضع آخر في «فتاوى اللغة» ضوابط للألفاظ التي لم تذكرْها المعاجم، وحقّها أن تذكر أو تلحق، ومن ذلك: أن تكون مادة اللفظة عربية، فهذا وحده كافٍ في أن يُنظر فيه، ويُلحق في المستدركات على المعاجم، بعد تعديل ما لحقه من تحريف إن وُجد.

ولا تكــــونَنَّ في دنيـــاك ذا هَمَـــلِ
كالفـــاء في البحـــر لا يَبقـــى لممـــتحن

والمثبت في «الموزون والمخزون» لأبي تراب «ذا عمل» والظّاهر ما أثبتُّه.

وفي معنى الفاء قال الشّاعر:

فمـــا[1] مُزبِـــدٌ طـــامٍ يجـــيش بفائـــه
بـــأجودَ منـــه يـــومَ يأتيـــهِ ســـائله

ذكره في «البصائر»، و«التاج».

(١) في «البصائر»، و«التّاج»: [لِما مزبد]، وهو غير واضح المعنى، ولعلّ الصّوابَ المثبتُ، كما رأى ذلك محقق (البصائر).

معنى القاف

والقـــافُ: مُسْـــتَغْنٍ بمـــا لَـــهُ ومـــا
لِـــه، ومـــا لَكُـــمْ عليـــهِ كَلِمَـــةْ

القاف: المستغني عن النّاس، بما له؛ أي: بالّذي له، وبمالِه، والمستغني عن النّاس لا كلامَ عليه ولا اعتراض.

وقال صاحب الهوّاريّ:

والــزمْ غنــى الــنّفس إنّ القــافَ شــرَّفه
غنــاه عمّــا بأيــدي النّــاس مــن مِــنَنِ

وفي البصائر: القاف: المصلح بين القوم، وأنشد له قول أبي النّجم:

مهـــذّبُ الخلقـــة أريحـــيُّ قـافٌ بسـيط الكـفّ عبقـريُّ

وأظنّه وهِم في ذلك؛ لأنّ المصلح بين النّاس هو الكاف كما سيأتي، ولأنّ قول أبي النّجم لا يوافقه، بل يوافق المعنى الّذي ذكره الهوّاريّ، واشتمل عليه النّظم.

معنى الكاف واللام

والكـــافُ: مُصْــلِحٌ، ولامٌ: شَــجَرٌ

والهــولُ، والقــربُ، وذاتُ الأســنمة

الكاف: الرّجل المصلح بين النّاس.

والـلام: شـجر، وقيـل: الشّـجر إذا تقطّـر أيّـام الرّبيـع، والجمـل ذو السّنامين.

وقال صاحب الهوّاريّ فيهما:

مـا أسـعد الكـافَ بـين النّـاس مـن رجـلٍ

يراقـــبُ الله في ســـرٍّ وفي علـــنِ

وأيُّمـــا عمـــل لله مقصـــدُه

يكـن كـلامٍ غضـيضِ النّبـتِ والغُصُـنِ

وقد اكتفى بمعنى واحد.

وممّا جاء في الشّعر في معنى الكاف:

خِضَـمٌّ إذا مـا جئـتَ تبغـي سُـيوبَه

وكـافٌ إذا مـا الحـربُ شَـبَّ شِـهابُها

والسُّيوب: جمع سيب وهو العطاء.

واستشهد بالبيت في «البصائر»، ولم يعْزُه إلى الخليل.

وفي القاموس من معاني اللام: الهولُ، والقُرب.

ولم أجد ما قاله الهوّاريّ، ولكنّي زدتُه في النّظم.

ولعلّ الشّجر المذكور هو الشّجر الّذي يُنسبُ إليه العِلك اللاّميّ، وقد ذكره في (التّاج)، ولم أجد ذِكره للشّجر.

معنى الميم

والمـــيمُ: للخَمْـــرِ، وقـــال بعضُـــهم:

معنـــاهُ: دَاءٌ أنــــتَ ممَّــــنْ سُـــلِّمَهْ

الميم: مرضٌ يُقال له: المُوم أيضًا، وذكر التّاج من معانيه الخمر، وكذلك في «بصائر التمييز» واستشهد له بقول الرّاجز:

إنّـــي امــرؤٌ في سَـــعةٍ أو مَحْـــلِ　　أمتــزِجُ المــيمَ بمــاءٍ ضَــحْلِ

وجملة «أنت ممّن سُلِّمه» جملة إنشائيّة في صورة خبر، معناها الدّعاء.

واقتصر ناظم كلام الهوّاريّ على الأوّل، قال:

فــإنّ دنيــاك مثــل المــيم تُسْــكِنُ مَــن

صــبا إليهـــا وإن أمســـى أخـــا فِطَـــنِ

معنى النون

والنُّــــون: سَـــــيْفٌ، وَدَوَاةٌ، قَلَـــــمُ

وَذَكَـــرُ الحِيتَـــانِ فاتحًـــا فَمَـــهْ

النّون: لها معانٍ، منها: الدّواة، والقلم، والحوت الكبير، والسّيف.

واقتصر الهوّاريّ على معنى واحد، قال ناظم كلامه:

والنّــونُ في البحــر نجّــى عبــدَ خالقِــه

مِــن الملــوك ولاةِ الأمــر في الــزّمنِ

والمعاني المذكورة كلّها في «التاج» إلا «القلم» فهو قول الهوّاريّ فيما نقله أبو تراب، فإنْ صحّ فبها ونعمتْ، وإلّا يغيّرْ بإضافة ما قبْلَه إليه «ودواةُ قلمٍ».

ومن معانيه أيضًا: شَفْرة السّيف، وهو غير المعنى الّذي ذكرتُه؛ لأنّ المراد سيفٌ بجملته، وهو سيف لبعض العرب، ومفهوم كلام الهوّاريّ السّيفُ مطلقًا.

معنى الهاء

وَأَثَـــرُ اللَّطْمَـــةِ في خَـــدِّ الصَّـــبيْ

يُقَـــالُ عنهـــا: الهَـــاءُ، يـــا مَـــنْ لَطَمَـــهْ

الهاء: أثر اللّطمة في خدّ الصّبيّ.

وقال النّاظم:

وأدّبِ الـــنّفسَ لـــولا اللَّطـــمُ في أدَبِ

لـــم يَـــزْهُ بالهـــاءِ خـــدُّ الشّـــادن الحسَـــنِ

وفي «البصائر» و(التاج): الهاء: بياض في وجه الظّبي، قال الرّاجز:

كـــأنّ خدّيـــه إذا لثمتَهـــا هـــاءُ غـــزالٍ يـــافعٍ لَطَمتَهـــا

والمعنى الّذي ذكره أبو عبد الله الهوّاريّ وناظمه أقرب إلى هذا الرّجز؛ لأنّه يشبّه أثر اللّثم في خدّ المحبوب بصبيّ ملطوم يشبه الغزال، بقرينة قوله: «يافعٍ». والله أعلم.

وعلى المعنى المتعلّق بالظّبي يمكن نظمه على هذا النّحو:

وإنْ تـــرَ البيـــاضَ في وجـــه الظّبِـــيْ

فســـمِّه الهـــاءَ فإنّهـــا سِـــمَةْ

معنى الواو

وَذُو السَّنَامَينِ مِنَ البُعْرَانِ أوْ
عمودُ خَيْمَةٍ: فَوَاوٌ مُبْرمَةْ

الواو: الجمل ذو السّنامين، وعمود الخيمة، ومعنى (مبرَمة): ملفوفة، والواو كذلك في رسمها.

وقال الشّاعر في الواو بمعنى عمود الخيمة:

نبني البيوتَ على واوٍ، ونهدمُها
وأكثر النّاس لا يدرون ما الواوُ

وقال صاحب الهوّاريّ:

ولا تكونَنَّ مثل الواو ذا كِبَر
بغير عقل، وحاسبْ كُلَّ مُمْتَهِنِ[1]

وفي «الموزون والمخزون»: [وحسِّب كلّ ممتهن]، ولم يظهر لي معناه.

ولم أجد في المعاجم إلا المعنى الأوّل، وعبّر عنه في (التاج) و(البصائر) بالجملِ الفالج، وهو ذو السّنامين، وذكَرا فيه قول الشّاعر:

وكم مُجْتَدٍ أغنيتُه بعد فقرِه فآبَ بواوٍ جمَّةٍ، وسَوامِ

---

(١) بصيغة اسم الفاعل، ويصحّ أن يكون بالفتح.

والمجتدي: هو الّذي يسأل النّاس، والسَّوامُ: الماشية الّتي ترعى بلا عَلَفٍ.

ومن اللّطائف: أنّ «الواوا» اسم لصوت ابن آوى.

معنى لام الألف، والياء

ثُـمَّ شِـرَاكُ النَّعْـلِ: لامُ ألـف
والـياءُ: مـا يَبْقـى بِضَـرْعِ الغَنَمَـةْ

لام ألف: شراك النّعل، أي: شِسعُه.

والياء: ما يبقى في ضرع الشّاة بعد الحلب.

وقال صاحب الهوّاريّ فيهما:

واصبرْ على الجَهْدِ صَبرَ الّلاءِ يَصْلُبُ إنْ
وطيتَـه ومتـى جاذبتَـه يَلِـنِ

والمراد من ذلك أن لفظ «اللاء» هو الّذي يكون بهذا المعنى، وليس لفظ لام ألف.

وأمّا الياء فقال فيها:

لا تـركنَنَّ بيـاء لا أمـان بـهِ
واطلـبْ جنـابَ كـريمِ النّفس مؤتمَنِ

ونصّ كلام الهوّاري: «الياء: اسم لما فضَل من اللّبن في ضرع الشّاة».

ولم أجده في «التاج»، واقتصر على ما اقتصر عليه الفيروزآبادي في «البصائر» وهو معنى آخر، هو النّاحية، واستشهد له بقول الشّاعر:

تيمَّمتُ ياءَ الحيّ حين رأيتُها تضيء كبدرٍ طالع ليلةَ البدرِ

أي: قصدتُ ناحية الحيّ.

الخاتمة

وكَمُــلَ المنظــومُ والحمــدُ لِمَــنْ
يَسَّــرَهُ، بمكَّــةَ المكرَّمــةْ

«كمل» بتثليث الميم، وكان نظمه في غرّة رجب من عام ١٤٣٧هـ بمجمع اللّغة العربية، بمكة المكرمة، وليس من منهاجي أن أنظم عِلْمًا سبَقني في نظمه غيري، ولكنّي وجدتُ ما نظَمه صاحب المنظومة النّونية لا يفي بالمقصود، واقتَصر على معنًى واحدٍ للحرف، وفي بعض ما ضمنه في أبياته غرابة؛ لأنّه تابعَ فيه الهوّاري. ونظمُه من البحر البسيط، وله فضل التَّقدُّم.

وقد قال بعض من سمع هذه المنظومة: إنّها رحيق مختوم، خِتامه مِسْك.

متن معاني حروف المعجم

١- حَمْــدًا لِرَبِّــي وصَــلاةً دائمــةْ
علــى النَّبــيْ والعِتْــرَةِ المُكَرَّمَــةْ

٢- وبَعْــدُ؛ إنّــي نــاظمٌ مَّعْنَــى الحُــرُو
فِ كُلِّهــا مُهْمَلَــةً أوْ مُعْجَمَــةْ

٣- الألِــفُ: الواحــدُ مِــن كُــلٍّ، ومَــنْ
لــيسَ لــهُ صــاحِبةٌ ولا أَمــةْ

٤- والبــاءُ: شَــيْخٌ يَفَــنٌ مُبَاشِــرٌ
والتَّــاءُ: معنًــى لِّأَوانِــي الأَطْعِمَــةْ

٥- والثَّـا: الخِيـارُ، والثّنـا، والجيمُ: جَا
لواحــدٍ مِّــنْ إبِــلٍ مُّغْتَلِمَــةْ

٦- والحــا: قبيلــةٌ وزجْــرُ إبــلِ
وامْــرأةٌ لِّســانُها مثــلُ الحُمَــةْ

٧- والخــاءُ: رَمْــزٌ لِّأَخٍ، أو شَــعْرُ عَــوْ
رَةٍ، ودَالٌ: مَّــــرْأةٌ مُنَعَّمَــــةْ

٨- والـذَّالُ: عُـرْفُ الـدِّيكِ، أمَّـا راؤُهُـمْ:
فَهْــوَ القُــرَادُ وَهْــوَ مِثْــلُ الحَلَمَــةْ

٩- والــزَّايُ: للأَكُــولِ، والسِّــينُ: اللَّحِيــ
ــمُ والشَّــحِيمُ، وَيْحَــهُ مــا أَشْــحَمَهْ!

١٠- والشِّـــينُ: معنــاه الّــذي لا يَنْثَنِــي
عــن النِّكَـاحِ في الضُّـحَى والعَتَمَــةْ

١١- والصَّــادُ قِـدْرٌ مِّـن نُحـاسٍ يـا فتَـى
وقَـدْ أتَـى لِلفَـرخِ والـدِّيكِ سِـمَةْ

١٢- والضَّــادُ: معنــى هُدْهُــدٍ، وامْــرأةٍ
كبيــرةِ الثَّــدْيِ، كمِثْــلِ المَأكَمَــةْ

١٣- والطَّـــاءُ: للسَّـــنَامِ، أوْ لِشَـــبِقٍ
ومَهْـبِطِ الـوادي لَـدى مَـنْ عَلِمَـهْ

١٤- والظَّـاءُ: صـوتُ التّيس، والعجوزُ قَد
تهــدَّل الثَّــديان منهـــا هَرِمَـــةْ

١٥- والعَـيْنُ: عـينُ المـا، وشَـمْسٌ، والرِّبـا
وذَهَـــبٌ، وعَيْنُـــكَ المُسَـــلَّمَةْ

١٦- والغَـيْنُ: مثـلُ الغَـيْمِ والفَـا: زَبَـدٌ
يكـــونُ في المـــا رَابيًـــا يـــا زَلَمَـــةْ

١٧- والقــافُ: مُسْــتَغْنٍ بمــا لَــهُ ومــا
لِــه، ومــا لكُــم عليــهِ كَلِمَــةْ

١٨- والكــافُ: مُصْــلِحٌ، ولامٌ: شَــجَرٌ
والهَـوْلُ، والقُـرْبُ، وذاتُ الأسـنِمة

١٩- والمـيمُ: للخَمْـرِ، وقــال بعضُــهم:
معنـــاهُ: دَاءٌ أنـــتَ ممَّـــنْ سُـــلِّمَهْ

٢٠- والنُّـــونُ: سَـــيْفٌ، وَدَوَاةٌ، قَلَـــمْ
وَذَكَـــرُ الحِيتَـــانِ فاتحًـــا فَمَـــهْ

٢١- وَأَثَـــرُ اللَّطْمَـــةِ في خَـــدِّ الصَّـــبِيْ
يُقَـــالُ عنهـــا: الهَـــاءُ، يـــا مَـــنْ لَطَمَـــهْ

٢٢- وَذُو السَّـــنَامَينِ مِـــنَ البُعْـــرَانِ أَوْ
عمـــودُ خَيْمَـــةٍ: فَـــوَاوٌ مُبْرَمَـــةْ

٢٣- ثُـــمَّ شِـــرَاكُ النَّعْـــلِ: لامُ أَلِـــفٍ
واليـــاءُ: مـــا يَبْقَـــى بِضَـــرْعِ الغَنَمَـــةْ

٢٤- وكَمُـــلَ المَنظـــومُ، والحمـــدُ لِمَـــنْ
يَسَّـــرَهُ، بمكَّـــةَ المكرَّمَـــةْ

ترجمة أبي تُراب[1]

كان أبو تراب، عبد الجميل بن عبد الحقّ، الهاشميّ[2] (١٣٤٣-١٤٢٣هـ) لغويًّا، واسعَ الدَّائرة. اشتغل في أوّل طلبه للعلم بالحديث وعلوم الشَّريعة، ثم جَنَحَ إلى اللّغة -واللّغة علمٌ ساحرٌ- فلم يكد يشتغل بغيرها قراءةً وتصنيفًا، وتواليفه تشهد له بقوَّة ملكته وسعة اطِّلاعه ورقَّة طبعه، وكثرة محفوظه. وتصانيفُه تشبه تصانيف المتقدمين من أهل القرون الأولى.

وسرّ براعته في جودة السَّبك ومجانبة الخطل أنَّه لا يقرأ للمتأخرين إلَّا عند الحاجة؛ كما قال، ولم يكن يدخل في كلامه غرائب الألفاظ لتقوية ما يكتب فِعلَ من يعمَدُ إلى ذلك وهو قليل البضاعة في اللّغة، فيكون من الخلل ما يجعل اللّفظ يقول لصاحبه: «دعني».

ومن أحسن كتبه: «لجام الأقلام»، «والموزون والمخزون»، و«كبوات اليراع»، و«شواهد القرآن». ولو أفرغ قلبَه للعلم لنال العالَمُ منه حظًّا وافرًا[3].

---

(١) أصل التّرجمة مقالٌ كتبتُه في صحيفة (البلاد) السّعودية، ونُشر غداةَ وفاته.

(٢) يَذكر أنّ نسبه يتصل بعمر بن الخطاب، رضي الله عنه.

(٣) ولكنه كان كثير المخالطة، متقلّب الحال، منصرفًا إلى ما يشغله عن الاستقامة في سبيل العلم.

ومن شيوخه: والده عبد الحقّ، وهو أكثر من انتفع به، وأبو تراب محمّد بن عبد التّواب الملتاني، وعبد الرّحمن المعلمي، ومحمّد عبد الرّزاق حمزة، وعمر بن حمدان.

وُصف -رحمه الله- بقوّة الحافظة، وسرعة البديهة، وسعة الاطّلاع، والكرم الجمّ.

ولحديثه حلاوة، وفيه فخامة، ينهال على جليسه بالفوائد والطّرائف خاصّة إذا كان مرتاح البال هادئ المزاج، أو كان في المجلس من هو حفيٌّ به؛ لمكانته في العلم والقدْر.

جاء مرّة إلى مكّة ليصل حبلَ الوفاء بعالِم أدباءِ العصر أبي عبد الرَّحمن ابن عقيل، ظاهريّ نجد، كما نعته هو، وكان منزلي في الطّابق الرّابع، وليس في العمارة مِصعد، فنزلتُ لأُدلفه، فإذا بالشَّيخ مستوفزٌ على عصاه .. يقول: أين المصعد؟

فقلتُ له: لا يوجد -هنا- مصعد، ولا بدّ من اقتحام العقبة.

وأخذتُ أذكرُ له فوائد المشي، وأسأله عن أخبار العصا، أشغله عن تعب الصّعود بما يحبّ؛ فإنّ العالم الشغوف بالعلم ينسى بالمذاكرة والمحاضرة به ما يصيبه وقتَ ذلك من همٍّ وَوَنى، وقد يبدأ درسه مريضًا وينتهي معافًى.

وممّا أنشده في طلوعه قول الأوّل [من الطويل]:

فأصبحت كُنتيًا وأصبحت عاجنًا وشرُّ خصال المرء كنتُ وعاجنُ

وأتحفنا بإفادات وإنشادات في ذلك المساء تنبئ عمّا سلف، وكان معنا في الحضرة طائفة من أهل العلم.

وتبع هذه اللّقاءةَ لقاءاتٌ أخرى، منها مع أحد العلماء، أراد مباحثته في مسألة لغوية.

وممّا طرحه من إفادات في تلك الجلسة أبيات لأبي محمّد ابن حزم، أوّلها من [البسيط]:

وسَائلٍ لِيَ عمَّا لِيْ مِن العُمُرِ
وقد رأى الشّيبَ في الفَودين والعُذُرِ[1]

أجبتُه: ساعةٌ، لا شيءَ أحسبُها
عُمْرًا سواها بحكم العقل والنَّظرِ

فقال لي: كيف ذا؟ بيِّنْهُ لي فلقد
أخبرتَني أشنعَ الأنباء والخبرِ

فقلتُ: إن التي قلبي بها عَلِقٌ
قبَّلتُها قُبلةً يومًا على خَطرِ

فما أعدُّ ولو طالت سِنِيَّ سوى
تلك السويعةِ بالتحقيقِ مِن عُمُري

---

(١) الفودان: جانبا الرأس، والعُذُر: جمع عِذار، وهو جانب اللحية.

ثمّ ذكر لنا أنّه تعقَّب مَن استدرك على ابن جبير، صاحب «الرّحلة» حينما أورد حديث: «اثبت حراءُ»، وعزاه إلى مسلم، فقال المستدرِك: إنّ الحديث حديث «اثبت أحد»، ووَهَّم ابن جبير.

فقال أبو تراب: فأثبتُّ للمستدرِك صحّةَ ما قاله ابن جبير، وأنّ الحديث ثابتٌ بكلا اللّفظين عن كلا الجبلين في «صحيح مسلم».

وفي مجلس آخر أكّدَ ما كنتُ سمعتُه من أنّه يوجد لديه كتاب «المجلّى» (بالجيم) بخطّ يده[1].

وممّا أتحَف به في تلك الجلسة أو غيرها هذان البيتان الطّريفان (بالظّاء والطّاء) عن عالمين أديبين زار أحدهما صاحبَه في منزله فرأى في جوانب البيت جماعات من النّمل، فأنشد العالم الزّائر قائلًا [من البسيط]:

ما لي أرى منزلَ المولى الأديبِ به
نملٌ تجمَّع في أرجائه زُمَرَا

فردّ عليه صاحب البيت بأحسنِ ردٍّ، فقال:

لا تَعْجَبَنّ إذنْ من نمل منزلنا
فالنَّمل عادتُها أن تَتْبَع الشُّعَرا

---

(١) وهي دعوَى، أخبرني العلامة ابن عقيل الظّاهري أنّه لم يجد لها واقعًا، والظّاهر أنّه كتَب بعضه، وأخبر عن ذلك إخباره عن كلٍّ.

يشير إلى المقصود، وهو المعنى السّاذج مع الإشارة إلى سورة النّمل التي جاءت في ترتيب المصحف بعد سورة الشّعراء، وهو المعنى البعيد.

وأمّا المهاتفات التي كانت بيننا فكثيرة، كثيرًا مّا تبدأ بحدّة أو استلطاف أو تنتهي بأحدهما، ولا يخلو جميع ذلك من فوائد[١].

وكنتُ في الأيّام الأخيرة لا أزال أطالبه بإثبات ما حكاه عن العرب من تسميتها للبنكرياس باللّبلابة.

كان أبو تراب -رحمه الله- على سَنن أبي العلاء المعرِّي في حفظ الغريب والعناية باللّغة والأدب، ويخالفه في فلسفته في أكل اللّحم مخالفةً خاصّة، فلا يكاد يستسيغ غيرَ اللّحم، يأكله حتى في الصّباح عند إفطاره، وكان صاحبُ المعرّة آبيَ اللّحم جملةً.

وللشّيخ أبي تراب اختصاص ومزيد اعتناء بـ«صحيح البخاري»، وكذلك أخوه عبد الوكيل. وإذا ذَكر أباه قلّل من شأن نفسه، وله دراية

---

(١) ولو سُجّل ما كان يكون بيننا من سجال علمي، وعتاب، واعتذار، لكان من ذلك مجلّد ضخم؛ لأنّ المهاتفات كانت بعد منتصف اللّيل، حين لا شغل لديه ولا (مشغلة).

ببعض الأعشاب وفوائدها. حذّرنا وأغرانا يومًا بحبِّ البلاذر، المعروف بحبِّ الفهم، وهو نباتٌ فيه سُمِّيَّة، يقال: إنّه لا أحسن للحفظ منه[١].

لم يكتب الشّيخ في فقه أهل الظّاهر شيئًا فيما أعلم[٢].

وأكثرُ النّاس سوى أهل الحديث لم يدركوا معنى الأخذ بالظّاهر والمراد منه، وظنّوا أنَّه مذهب شخص أو أشخاص بعينهم وأنّه مذهبٌ تعصبيٌّ، وأوجب بعضُهم الأخذَ بالظّاهر في الأصول، وعدم الالتزام به في الفروع، تفريقًا بلا دليل ولا موجب، وبعضهم عكَس القضية، ومنهم من عمّم، حتى قال الصّاوي في حاشيته على «الجلالين»: إنّ الأخذ بظاهر الكتاب والسُّنّة أصلٌ من أصول الكفر، وردّ عليه الشّنقيطيُّ في «أضواء البيان».

وإنّا لندعو شيخنا ووَدِيدنا أبا عبد الرّحمن أطال الله عمره وأحسن ذِكْره في الصّالحين: أن يُجلّيَ بعض المعاني والقواعد في هذا المنزَع الذي قال عنه الشّوكانيُّ: «هو أوّل الفكر وآخر العمل، عند من رُزق فطنةً لم يَرد عليها

(١) ويقال: إنّ البلاذري أكل منه فجُنّ، ومن أجل ذلك نُسب إليه.

(٢) ولم يكن له حظّ فيما علمتُ من علمه وسيرته التأليفية والتعليمية إلا الانتساب إلى الظّاهر وحسب.

ما يغيرها عن أصلها». ويشرحَ ما عابه المحققون من أهل العلم على أبي محمّد ابن حزم من الجمود في مسائل لا ينبغي الجمودُ عليها[1].

وأمّا التعصب لأحد من النّاس، ابنِ حزم أو ابنِ تيمية، أو داودَ أو غيرهم، فهو تعصبٌ لغير معصوم.

غلبتْ كنية أبي تراب على اسمه، حتى أصبح كمن اسمُه كنيتُه، وممّن كُنّي بهذه الكنية: عليّ بن أبي طالب -رضي الله عنه-، وأبو تراب النّخشبيّ من أهل الحديث، أخَذ عنه الإمامُ أحمد، وحجّ خمسًا وخمسين مرّة، توفي سنة ٢٤٥هـ.

رحم الله أبا تراب الظّاهريّ، وأكرم نُزُله، وغفر له ولأموات المسلمين أجمعين. آمين.

والحمدُ لله ربّ العالمين.

---

(١) وأرجو أن أفرغ لذلك، وأبيّن ما أراه هو الصّواب، وبعض الجمود الذي سلكه طائفةٌ من الأصحاب.

الموريات

(ألغَازٌ في علومِ العربيَّة وغَيْرها)

أ. د. عبد العزيز بن علي الحربي

مقدمـــة

عزمتُ على إخراج ما كنت أسطّره في أوقات الفراغ، ومغافلةِ الأهل والأصحاب، مِن نظم وشعر، ولولا معرفتي بفائدة ما أنشرُ لضربت عنه صفحًا، كما فعلتُ في طائفة منها ومن أشعاري اللّاهية.

وفي صدري خواطر لا تأتلي في عذلي على إهمال ما قلتُه من شعر، وخواطرُ ترجوني أن أعرض عنها.

وأشعار الألغاز إلى النفع أقرب، وأكثرها في العلم، فما لي لا أخرجُها، وهي علم ينتفع به؟!

وأضرع إلى الله أن يجمّل في كل عمل مقصدي عنده، وأن يزكّيَ نفسًا كانت تَذْهَل عن الإخلاص له، وأن يُطهِّرَ قلبًا لم يسلم من غوائل التخليط، وأن يحقق لي آمالا تُرضيه، وأن يجعلَ فيما لا أرجوه من خير أفضلَ مما أرجو، وأحتسب.. إنّه الوليّ في الدُّنيا والآخرة.

- ١ -

الولع بالألغاز والأحاجي قديم، لم يستطع الدّارسون أن يعرفوا له بداية، ولكأنّ نفوس بني آدم مجبولة على حبِّها؛ لأنَّ لهم عقولًا تبحث عن المعرفة، وترغب في الكشف عن المجهول، كما أنّ النّفوس ترغب في تحيير

من تسأله، وتحبّ أن يستسلم لها، ويعترف بعجزه، وتحبّ أيضًا أن تكشف قدرة من تسأله.

وللآباء والأمّهات طرق في تنشئة الولدان على ذلك، في جميع المجتمعات فيما أحسب.. وما من شيخ كبير، أو امرأة عجوز، إلّا ولهما ألغاز ومعمَّيات في الغالب.. وكان لأمّي[1] - رحمها الله - ألغوزات نثرية تبلغ ثلاثين أو تزيد، تطرحها علينا سردًا، ونحن صغار.

فنشأتُ على حبّ الألغاز والإلغاز، كما ينشأ الصّغار، ولم تكن تلك الألغاز في مسائل العلم، بل كانت في أنفسنا وما حولنا، وفي الأرض والسّماء، وفيها ما هو سطحيّ، وفيها ما هو عميق.

- ٢ -

وفي السّنة الأولى من الدِّراسة وجدت في مكتبة الوالد -رحمه الله- كتيّبًا في الألغاز، كلّه شعر، منها:

وآكلةٍ بغير فمٍ وبطنٍ لها الأشجارُ والحيوانُ قوتُ
إذا أطعمتَها انتعشتْ وعاشت وإن أسقيتَها ماءً تموتُ

وهو لغزٌ سهل الحلّ.

---

(١) اسمها: فاطمة بنت عبد الله الطوّاف، كان الوالد -عليها وعليه رحمة الله- يُسمِّيها رابعة العدوية؛ لكثرة صيامها وقيامها، وكانت كثيرة الدَّعوات، لا تفتُر تدعو لي سرًّا وعلانية، رضي الله عنها، وأرضاها (١٤٢٦هـ).

ومنها: لغزٌ في طائر، هو البَجع[1].

مــا طــائرٌ في قلبــه	يلـوحُ للنّـاس عَجَـبْ
منقــاره في بطنِــه	والعـين منـه في الـذَّنبْ

والمراد بالمنقار: حرف الجيم؛ لأنّه يشبه المنقار، والعين: حرف العين.

ومنها لغز في المِحْبَرة:

ومرضعةٍ أولادَها بعد ذبحِهم	لها لبَنٌ ما لذّ قطُّ لشاربِ
وفي بطنها السِّكّين والثَّديُ رأسُها	وأولادُها موفورةٌ للنّوائبِ

والمعنى واضح.

ولعلّه لا يتّضح لناشئي هذه الأيّام، الّذين لم يدركوا أقلام القصب، والمحابر، فلا يفهمون المراد من قوله: «بعد ذبحهم»؛ لأنّ رؤوس الأقلام تُجزّ حتى يكون للقلم سنّ للكتابة.

ومعنى العجُز الأخير من البيت الثّاني: أنّ أولادها، وهي الأقلام، تعدّ للحاجات؛ لأنّه يكتب بها جليل الأمر، وعظيمه.

- ٣ -

والحديث عن النّفس فيه مشقّة، ولا حاجة إلى تاريخ تدرّجي وتعلقي بالألغاز.

---

(١) طائر مائي، جميل الشّكل، عظيم المنقار. ولا ذِكر له إلا في المعاجم المعاصرة.

ولكنّي أذكر أمرًا فيه بعض فائدة، وهو أنّه في عام ١٤١٣ من الهجرة أرسل إليَّ الشيخ أبو عبد الرّحمن ابن عقيل الظّاهريُّ، العلامة المعروف، أرسل لي أوراقًا في (خاطف ظلّه)[١] مشتملة على ألغاز اعتاصت على العلماء، ويذكر أنّ الشّيخ عبد الله ابن عقيل -رحمه الله- أرسل بها إليه يستشرف إلى حلِّها، أرسلها إليه أحد العلماء في رسالة مطوّلة، ولكنها انطمست كتابتها عندي لطول العهد[٢]، وموضوعها: طلب المساعدة في حلّ ألغاز ابن الخشاب المعروفة، التي أوردها السُّبكيُّ في «الطبقات»، وعجز العلماء عن حلِّها، وهي ألغاز في العلوم، ويقال: إنّ ابن تيمية عُرِضت عليه، فقال: يمكن حلّها، واعتذر بعدم الفراغ، وقد ألحقتُها كاملةً بآخر الكتاب.

ومن النّاس من يزعم أنَّ السُّيوطيَّ كتب لها حلًّا، وما أظنّه صحيحًا. ونظرتُ فيها فوجدتُ لبعضها حلًّا، وبعضها فيه عُسرٌ، ووقع في نفسي أنَّ منها ما لا جواب له أصلًا، وأنّه وضعها للتّعجيز، فمسائل العلم محفوظة في الصّدور والسّطور، وهذه الألغاز وُضعت في أمور ومسائل علمية وعقلية، فكيف لا يعرفها إلّا من كتبها؟

فلمّا اجتمعنا بمكة ذكرتُ لهم ما عرفتُه عن يقين أو ظنّ، وكان لنا مجالس كثيرة يحضرها جمع من العلماء والأعيان.

---

(١) اسم طائر، وقد جعلته اسمًا للفاكس، كما في المقامات.

(٢) كانت أوراق «خاطف ظلّه» من النّوع الأملس الشّفاف.

وكان يكون معنا في بعض تلك المجالس الشّيخ الجليل عبد الله ابن عقيل رحمه الله، وله عناية بالألغاز، جمعًا وحفظًا ومذاكرةً، وسأذكر في آخر الكتاب طائفةً ممّا كان يطرحه، وطائفةً من الألغاز التي كتبتها له.

فلله تلك المجالس العامرة، واللّيالي السّامرة.

– ٤ –

إنّ الشّيء ينمو، أو يقوى، أو يشتدّ، أو يتغيّر، بترويضه، وتمرينه، والذّهن مادّة في الجِسْم، تنمو، وتقوى، وتُصقل، بتدريبها على الدّقائق، وغوامض الحقائق، فلا يزهدنّ طالب العلم في الوقوف على شيء من ألغاز المعارف، في هوامش الوقت، وحين الشّعور بخمول الذّهنّ، وبعد النّوم الزّائد.

فأنت إذا روضت ذهنك على ذلك تولّد لديك شعور بالحاجة إلى مسائل عويصة يفكر فيها الذّهنّ، وهو ما سمّيته «الجوع الذّهنيّ»[1]، أي: أنَّ ذهنك يعرض له من الشّوق إلى الغوامض، كما يعرض للبطن من الجوع والعطش، بل يكون في بعض الأحوال أقوى، ولا يسكت ذلك الجوع إلّا إعطاؤه ما يريد، أو الانشغال بما يصرفه عنه.. والألغاز نوع من تلك الغامضات.

– ٥ –

ولو شاء شاءٍ أن يُوجِدَ أصلًا للإلغاز، في الكتاب والسُّنَّة، لاستأنس بما في

(١) لم أكمله؛ لأنّني أراوح بين التّواليف، والمراوحة بين التّأليف ذات محاسن، ومن أسبابها تقلب المزاج، أو علوّ الهمّة، أو كلاهما. وكان ابن حزم يفعل ذلك، فيما ظهر لي من إحالته في كتبه، والتّسمية المذكورة من كيسي، ولا مشاحّة في مثل هذا الاصطلاح.

الكتاب العزيز من الحروف المقطّعة، التي حارت فيها الأفكار، وجعَلها طائفة من أهل العلم سرًّا من الأسرار، ولَاستدلّ بسؤال النَّبيِّ ﷺ أصحابه، حين قال لهم: «إِنَّ مِنَ الشَّجَرِ شَجَرَةً لَا يَسْقُطُ وَرَقُهَا، وَإِنَّهَا مَثَلُ الْمُسْلِمِ، فَحَدِّثُونِي مَا هِيَ؟». فوقع النَّاس في شجر البوادي، قال عبد الله بن عمر: ووقع في نفسي أنَّها النَّخلة، فاستحييتُ، ثم قالوا: حدثنا ما هي يا رسول الله؟ قال: «هِيَ النَّخْلَةُ»[1].

وإنّما ذكرت ذلك ليزداد طمعك في مثل هذا، وليشرئبَّ عنقك إليه، ولتكون كطائر في حدائقَ ذات بهجة، يتنقل بين أشجارها، وهل المعارف إلّا حدائق وأعناب، وكواعب أتراب؟

أقول قولي هذا، وأسأل الله لي ولك بصيرةً في العلم، ونورًا في القلب، وزكاءً في النَّفس.

أبو محمّد

عبد العزيز بن علي الحربي

مكة المكرمة

١٨/ ٠٣/ ١٤٣٧هـ

---

(١) البخاري (٦١)، ومسلم (٢٨١١).

وهذا أوانُ الشُّروع في الموريات قدحًا في الأذهان، الموقظات من غفلات الوسنان، السَّائقات إلى دقائق المعاني ولطائف المغاني، وسنجدها مبثوثةً بلا ترتيب، فإنَّ في اللؤلؤ ما هو منثور.

لغز في أصول الفقه

ومَا بَابٌ تَرَبَّعَ في أصول	لَه فِي القَلبِ عنْد النَّاسِ سايقْ
لَه حظٌّ لدى ذي الرأي لكنْ	سليلُ الحزم ليس له بتَايقْ[1]
وقُوَّتُه تزيدُ إذَا تجلَّى	بعِلَّتِهِ، ولَمْ يمْنَعْه عايقْ

مُرادي: وما باب هو الباب الرابع في أصول الفقه، لفظه عند قلبه سايق، لأنه مقلوب قياس؛ له حظ عند أهل الرأي، وأما ابن حزم فلا، وتزداد قوته إذا كانت عِلّته جليَّة، ولا عايق يمنع منها؟

لغز في النحو

وقَطَعُوا (لَدُنْ) عنِ الإضافَةْ	في موضِعِ جَهرًا بِلا مَخَافَةْ

جوابه: لدُنْ غدوةً.

قال سيبويه: لا عمل لها، أي: (لدُن) في غيرها، أي: في (غدوة) إلا الجر، كقوله تعالى: ﴿مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ﴾ [هود: ١].

---

(١) محبٌّ.

لغز في لفظ (عند)

(عنـــدي) لهـــا لُغْـــزٌ عجيـــبْ   إنّ لهـــا النَّصْـــبَ نَصِـــيبْ
ومَـــا لهَـــا مِـــن جَـــرَّةٍ   إلّا بـ (مِنْ).. هَلْ مِن مُجِيبْ؟

هذا نظمٌ للغز الحريري حين قال في (مقاماته):

وما منصوب أبدًا على الظّرف، ولا يخفضه سوى حرف؟

لغز (نحويّ)

مـا فَاعِـل يُحـذفُ حتمًـا أبَـدًا   وفَاعـلٌ في النَّحـو مجرُورًا غَـدَا

الجواب: الفاعل المحذوف، هو فاعل فعل الجماعة الذي يؤكد بالنون، نحو: لتَنْصُرُنَّ، الفاعل الواو التي حذفت لالتقاء الساكنين.

والفاعل المجرور في نحو: أكْرِمْ بزيد، فزيد مجرور لفظا مرفوع محلًّا؛ لأنه فاعل.

(لغزٌ نحويّ)

هَـاك سُـؤالًا يـا لَبِيـبُ فانْتبِـهْ   عَن فاعِلٍ جاءَ هـو المفعولُ بـهْ
مِثالُـه جـاء بِشِـعر عنْتَـرةْ   وفي الخصائصِ ابنُ جِنّي ذَكَرهْ[1]

---

(١) الخصاص (٢/ ٤٣٠) بتحقيق النجار.

قد سالَم الحيّاتُ منه القَدَما ... الأُفعُوانَ والشُّجاعَ القَشْعَما

لغز في (عَجُوز)

وشيءٌ ضعيفُ الرَّسم ليس له قلبٌ

ولكنّه الأقوى بما نطق العُرْبُ

له أربعٌ، والعينُ نِصفٌ نصيفِه

وأبناؤه (بَعْلٌ) وإن شئْتَ قل: (لِعْبُ)

الشرح: عجوز؛ ليس له قلب في اللّغة؛ لأن قلبه (زوجع) ولكنه أقوى الألفاظ؛ لكثرة معانيه.

له أربعة أحرف، والعين نصف نصيفه، والنَّصِيف، لغة في النصف، أي: حرف العين نصف نصيفه، أي: ربعه.

وأبناؤه، أي: عددهم (١٠٢) «بعل» بحساب الجُمّل[1].

وإن شئت قل: (لِعْبٌ)، والمراد: عدد معانيه[2].

لغز في (عَجُوز) أيضًا

---

(١) لأنّ اللام بثلاثين، والعين بسبعين، والباء باثنين.

(٢) جمعها الزَّبيديّ في «تاج العروس»، وأوردتها في كتاب «العجوز»، ونظمتُ طائفةً من معانيها.

إني أتيــــتُ البَحْـــــرَا   يَــومَ الخَمــيسِ عصْــرًا
فكَـــان ممـــا رَاعنِـــي   فِــي جوفِـــهِ أنْ مَــرًّا
نحـــوي عجـــوزٌ، ولهـــا   مئـــة وجْـــه تَتْـــرَى
مختلـــــفٌ ألوَانُهـــــا   سُـــودًا، وبِيضًـــا، حُمْـــرَا
حِينًـــا تُـــرى كبيـــرةً   وبَعْــضَ حِــين صُــغْرَى
وقـــد تُـــرى لابِسَـــةً   ثُـــمّ تَراهـــا تَعْـــرَى
فهَـــلْ لـــديكم فطِـــنٌ   أعنـــي الحضـــورَ طُـــرًّا
يُبْـــدي جوابًـــا واضِـــحًا   ينـــال فيـــه أجْـــرَا

والجواب: العجوز، لأن لها معانيَ كثيرة.

سؤال (صرفيّ)

ومـــا كلمـــاتٌ وضـــعها في ثلاثـــةٍ
وحينًا على حرفٍ تكونُ على الأمرِ
تســاقطتِ الأطـرافُ منهـا، ومـا بقـي
سِوى عَينِها الوُسطى المليحةِ بالكسرِ

الجواب: هي أفعال الأمر من اللفيف المفروق (عِ) من (وعى) و(قِ) من (وقى) و(فِ) من (وفى) و(دِ) من (وَدى) أي: دفَع الدّية، ولا يخفى المراد من عينها الوسطى؛ فإن هذه الحروف هي عين الكلمة ووسطها، وهي مكسورة. وانكسار العين ونَعْسُها من جمالها!

سجال شبيهٌ بالألغاز

في سياق سِجالٍ في يوم السّبت مع بعض الفضلاء، قلتُ حين كتَب أحد الكاتبين:

ينـــام صَــباحَ سَــبتِهمُ وأنّــى لِــذي أدَب بنــومٍ في السُّــبوتِ

فقلت:

ولكــنَّ الشّــبات بيــوم ســبتٍ ألــذُّ لِمــنْ وراء «العنْكبُــوتِ»

أي: الرُّوم، وفيه تورية دقيقة، والرُّوم، هي سورة الرُّوم، والمراد: أهل بلاد الروم، ثمّ قلتُ بعد بيت آخر، رَوِيُّه دال:

أُرِيــدُ السَّــبتَ لكــنْ دُون عَــيْنٍ تَرانــا والخمــيسَ لكــي يَــذُودا

أي: أحبُّ السّتَّ، والخميسُ: الجيشُ؛ الذي يدافع عنّا ويحرسنا.

ولا أبغـي الَّـذي مِـن بعـدِ سَبْتٍ ونحيــا بعــدَه نَصِــلُ العُهُــودَا
ويبقــى بعــدَه سَــبْعٌ بجَمْــعٍ على وصْلِ الحبيب لنا شُهُودَا

معنى البيتين: لا أريد أحدا، وأريد أن نحيا (الاثنين) نصل العهود، ويبقى بعده (الثلاثاء والأربعاء) و٣+٤=٧، ومعنى بجمع إذا جُمعتْ.

لغز في (الألفيّة)

في أيّ بيــتٍ جــاء في الألفيّــةْ فِعْــلٌ هــو الفَاعــل يــا أُخيَّــهْ؟

هذه الهاء هاء السكت.

والجواب:

تَرْفَعُ كَانَ المبْتَدَا اسْمًا وَالْخبَرْ   تَنْصِبُهُ كَكَانَ سَيِّدًا عُمَرْ

الفاعل (كان) وهو فعل، وقد ألغز فيها غيري بلفظ آخر، لا أتذكّره.

لغزٌ في (الحبِّ)

وللحبِّ في تَثليثه السَّعد كُلّهُ   إذا كان فيها الماءُ والنَّارُ والهَوا

أعني: الحبّ، بفتح الحاء وكسرها وضمّها، فيها مقومات الحياة كاملة، إذا توافر الماء والنّار والهواء.

لغز في (السُّكَّري)

وفي جِسْمِ خِلّي عِلّة مُستديمة   تتيحُ له أوقاتَه صَافيَ الشَّهْدِ

تُشَبَّهُ بالإيمان، كلِّ مَذاقُهُ   مُحلًّى، وتزدادُ الحلاوةُ بالحقْدِ

الجواب: مرض السُّكري.

والمراد أنها تجعل بجسمه حلاوة دائمة تشبه العسل في حلاوتها، وقد شبَّهت السُّكري بالإيمان بجامع الحلاوة في كلّ، وبالزيادة والنقص، لأن الإيمان يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية، وله حلاوة، والسُّكر يزيد وينقص؛ لا سيما بالغضب، والانفعال، والحقد، وغير ذلك من انفعالات القلب، وشتان ما بينهما.

لغزٌ نحويّ

ومـا لفظـةٌ صَـلَحتْ أن تَكُـو نَ فِعـلًا وحرفًـا أو اسْـمًا عَـلَا

الجواب: هو ما اشتمل عليه اللغز الذي بعده.

لغز

(عَـلَا) أمـرُكم عنـدنا بِــ (عَـلَا) (علـى) كـلِّ مـا كـان عنـد المَـلَا

والمعنى: عَلَا، أي: ارتفع أمركم عندنا بالرجل المسمّى (عَلَاء، وحذفت الهمزة للتخفيف) على كل أمر كان عند الملا، فهو لفظ واحد، ولكن له ثلاثة معانٍ مختلفة.

لغز في (حَزْم)

سـألتك عـن شـيء ترقَّـى بمخـرجٍ
لـه وسَـطٌ قـد أعجمـوه وقـد حَـرُمْ

يجـدُّ بكـلِّ الجِـدِّ لكـنَّ قلبَـهُ
إلـى الهـزْلِ أدنـى مـن جيـادٍ إلـى الحَـرمْ

الجواب: هو (حَزم).

ومعنى ترقَّى بمخرج: تدرّج في الخروج إلى أعلى؛ لأن الحاء من الحلق، والزاي من اللسان، والميم من الشفتين.

ووسطه الزّاي أعجموه، وكان لفظه قبل ذلك (حرم)، وإذا قُلب يصير (مزح). والمعنى: إذا قُلبت حروفه صار أقرب إلى الهزل، كقُرب الشَّيء من الشَّيء، ومثّلتُ لذلك بجياد والحرم، كقول زهير:

* فَهُنَّ ووادي الرَّسِّ كاليدِ للفَمِ *

لغز في (الحساب)

ومـا عـددٌ إن تجمَعُـوه بمثلِـهِ   أَوِ انْ تضـربوهُ، فالنتيجـةُ واحـدهْ

الجواب: العدد (٢) ٢+٢=٤، ٢×٢=٤.

لغز في (النّحو)

سألتُكُمُ عن لفظة قد تجمعَّتْ   بها خمسُ أسبابٍ موانعُ للصرفِ

الجواب: «أذربيجان»، مُنع من الصرف، للعلميّة، والتركيب، والعجمة، والتأنيث، وزيادة الألف والنّون.

لغز في (الحساب)

أَلا تعجبوا من ضَربِ نصفٍ بمثلِهِ   وناتجـه رُبْـعٌ، وذاك عجيـبُ

لغز في (مجْمع) اللّغة

عجبـتُ مـن شـيء عَـلَا   والعَـينُ في آخِـرِهِ

الجمـــع معنـــى لفظِـــهِ وهـــو وحيـــدُ دهـــرِهِ
حـــوى التـــي قـــدْ شُـــبّهت بـــالبحر أو بنهـــرِه
وفيـــه أعـــلامٌ هُـــمُ قـــدِ اســـتَوَوا بظهـــرِهِ
ونِصـــفُه الثَّـــاني (مَعِـــي) حـــين تجـــي بجـــرِّهِ

وتحليل اللغز: أنّ لفظ مجمع، قد علا شأنًا، وعينُه في آخره، أي: حرف العين منه، وقد حوى الّلغة التي تشبّه بـ«البحر في أحشائه الدّر كامن».

وفيه أعضاء، وهم المجمعيّون، ونصفه الثاني (مَعِ) إذا كان مجرورًا.

إنّ وأخواتها

سَـــأَلَ زيـــدٌ صـــاحِبَه مـــا خمـــسةٌ مصـــاحِبَهْ
لـــ (إنّ)؟ وهـــي قاطبَـــةْ عامِلـــةٌ وناصِـــبَةْ

والجواب: (إنَّ) وأخواتها (أنَّ، لكنَّ، كأنَّ، ليتَ، لعلَّ).

حكمة تشبه الألغاز

لا تحقـــرنْ ذا خفـــضِ في طُولـــه أو عَـــرْضِ
فـــإنَّ حـــرفَ الخَفـــضِ يجـــرُّ كـــلَّ الأرضِ

والمرادُ: لا تحقرنَّ صغيرًا أو حقيرًا، فإنَّ حرف الجرِّ، يجرّ الأرض كلَّها، والبعوضة تُدمي مُقْلَةَ الأسد.

لغز في (اللغة)

وما لفظةٌ إن نكّروها تعرّفتْ   وإن عُرِّفتْ ضَاعت ولم تَتعرَّفِ

الجواب: (أمس)، لأنك إن نكرتَها، فالمراد بها اليوم الذي قبل يومك، والشيء إذا تعيَّن صار معرفة، وإذا قلتَ (الأمس) صدق على أي يوم، أو على أيّ زمان مضى.

لغز طَريف

سألتكمُ عن عَينٍ فعلٍ مُضاعَةٍ

وإن قُلِعَت يَسْرِي إلى فِعلِها البَصَرْ

أشير بهذا إلى قصة مذكورة في كتب الأدب، خلاصتها أن بعض الشعراء دخل على أحد الأمراء ليمدحه، ولم يعطه شيئا، وكان لدى الأمير جارية سوداء، شديدة السواد، يقال لها: خالصة، وعليها حليّ كثير، فلما انصرف أخذ فحمة وكتب على جدار القصر هذا البيت:

لقد ضاعَ شعريْ على بابكمْ   كما ضاع درٌّ على خالصَهْ

فرآه الحرس، فأخبروا الأمير، فقال: عليّ به. فلما كان عند الباب مال إلى المكان الذي كتب فيه البيت ومحا العين من (ضاع) وأبقى رأسها، فلما سأله الأمير عن قوله، قال: إنما كتبت (ضاء)، ولم أكتب (ضاع)، فنظروا فإذا

هو كما قال، ورأوا أنهم قد ضلّوا، فكافأه الأمير، فلما خرج الشاعر قال: لله درُّك من شعر قُلِعَت عينه فأبصر!

لغز في (الإسناد)

وحيَّرني أَمر التي قدْ هَوِيتُها ... ليالِيَ أنْ كنّا بريئين في الودِّ
كما حِرتُ في عَمرٍو سليلِ شُعَيبهم ... إذا كان يروي عَن أبيه عن الجدِّ

هذا الكلام أشبه باللّطائف منه بالإلغاز، ولكن المعنى الحقيقيّ في وجه الشبه يشبه اللغز، وإسناد عمرو بن شعيب عن أبيه عن جدّه من المحيّرات، وبسط ذلك في موضع آخر، ذكرتُ بعضه في «المصفّى»، وبعضه في «نظم الضعفاء وشرحه».

لغزان في (القرآن)

وكُرِّر لفظُ «الله» سبْعا بآية ... ولم يتكرّرْ مثلُها فتعجَّبوا
وما سورة آياتها منه ما خلَتْ ... وحزبٌ خلا منه؟ وذلك

الجواب: قوله تعالى: ﴿ ۞ إِنَّ رَبَّكَ يَعۡلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدۡنَىٰ مِن ثُلُثَيِ ٱلَّيۡلِ وَنِصۡفَهُۥ وَثُلُثَهُۥ وَطَآئِفَةٞ مِّنَ ٱلَّذِينَ مَعَكَۚ وَٱللَّهُ يُقَدِّرُ ٱلَّيۡلَ وَٱلنَّهَارَۚ عَلِمَ أَن لَّن تُحۡصُوهُ فَتَابَ عَلَيۡكُمۡۖ فَٱقۡرَءُواْ مَا تَيَسَّرَ مِنَ ٱلۡقُرۡءَانِۚ عَلِمَ أَن سَيَكُونُ مِنكُم مَّرۡضَىٰ وَءَاخَرُونَ يَضۡرِبُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِ يَبۡتَغُونَ مِن فَضۡلِ ٱللَّهِ وَءَاخَرُونَ يُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِۖ فَٱقۡرَءُواْ مَا تَيَسَّرَ مِنۡهُۚ وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ

وَأَقْرِضُوا۟ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا ۚ وَمَا تُقَدِّمُوا۟ لِأَنفُسِكُم مِّنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِندَ ٱللَّهِ هُوَ خَيْرًا وَأَعْظَمَ أَجْرًا ۚ وَٱسْتَغْفِرُوا۟ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٢٠﴾﴾ [المزَّمل].

وجواب البيت الثّاني: سورة المجادلة، وهناك ثلاث سور متتاليات خلت من لفظ الجلالة، وهي: (القمر، والرّحمن، والواقعة) وهي بقدر حزبٍ.

لغز في (القرآن)

وفي آلِ عمـران وفـتحٍ تجمَّعـتْ حروفُ الهجا في آيتين، فما هما؟

آيتان في القرآن، كلتاهما جمعت حروف الهجاء؛ وهما: قوله تعالى في الآية الأخيرة من سورة الفتح: ﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ ۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ ...﴾ [الفتح: ٢٩]، وقوله في سورة آل عمران (الآية: ١٥٤): ﴿ثُمَّ أَنزَلَ عَلَيْكُم مِّنۢ بَعْدِ ٱلْغَمِّ أَمَنَةً نُّعَاسًا يَغْشَىٰ طَآئِفَةً مِّنكُمْ ۖ وَطَآئِفَةٌ قَدْ أَهَمَّتْهُمْ أَنفُسُهُمْ ...﴾.

لغز ثالثٌ في (القرآن)

ألا فـاذكُروا لـي سـورةً قـد تعلَّقَا

بهـا الجـرُّ، والمعلـوقُ في سـورةٍ أُخرى

جوابه: ﴿لِإِيلَٰفِ﴾ متعلق بـ ﴿فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَّأْكُولٍۭ ﴿٥﴾﴾.

لغز في (الكعبة)

وقلت ملغِزًا في البيت العتيق:

ألا إنَّ مهْوى القَلبِ في القلْبِ ساكنٌ
فؤادي إليه اشتاقَ، وهْوَ من الصَّخْرِ
أقبِّلُهُ والنّاسُ حَولي يَرونَني
وليس يراني الجالسونَ على حِجْرِ

ومعناه: إنّ مهوى القلب في قلب الأرض موطنه، وهو الكعبة، يشتاق إليه قلبي، وهو مبنيّ من الصَّخر، أقبّله، أي: الحَجَر الأسود، وهو من الكعبة، والنّاس يرونني، لكن الجالس في حِجْر الكعبة لا يراني، ووجه الإلغاز فيه واضح، ولأنّ (الحِجْر) قد يراد به مجلس الصبيّ من الإنسان.

لغز في (ألفية ابن مالك)

ألا خبِّروني عن عَجوزٍ، بيوتُها ... تزيدُ على ألفٍ تَسيرُ على عَيرِ
ومقصَدُها نَحْوَ العراقِ، وبَعلُها ... بجيّانَ دارًا، وهْي مودَعةٌ حِجْري
أبرُّ بَنِيها عند شِنقِيطَ راقدٌ ... ويَحملُها الآلافُ حَملًا على الصَّدرِ

العجوز: الألف من كلِّ شيء.

ومعنى (تسير على عَير): إشارة إلى الرَّجز، وهو حمار الشُّعراء، و(تزيد على ألف)؛ أي من الأبيات؛ لأنها ألفُ بيتٍ وبيتان (١٠٠٢).

(ومقصدها نحو العراق)، أي: النَّحو؛ نحو الكوفة والبصرة، وهما في العراق. (وبَعلها)، لأنه منشِئُها ابن مالك (بجَيّان) نشأة، وهي في (حِجري)، أي: عقلي.

(أبرُّ بَنِيها عند شنقيط راقدٌ) هو ابن بُونَة الشّنقيطي، مرقده هناك، (ويحملها الآلاف)، أي: يحفظونها في صدورهم.

لغز في (الشَّاي)

ومـا نبـتٌ يسـمَّى باسـمِ طَيـرٍ	شبيه الصَّقرِ يُشرَبُ مثلَ «كَافِ»
ورسْـمُ حُروفِـه كحُـروف شَـيءٍ	ببطن الكهفِ أو مِن قبلِ«كـافِ»

هذا لغز وضعته في الشاي.

وشرحه: اسمه شاهي، وهو اسم نوع من الصقور إذا حذفت نونه، ويشرب مثل (الكافي) وهو القهوة، وحُرِّف لفظه للإلغاز.

ورسم حروف كرسم حروف (شيء) في سورة الكهف: ﴿وَلَا تَقُولَنَّ لِشَاْيْءٍ إِنِّي فَاعِلٌ ذَٰلِكَ غَدًا ﴿٢٣﴾﴾، فإنها رسمت في هذا الموضع خاصة بهذا الرَّسم، وفي بقية المواضع (شيء).

ومعنى (ببطن الكهف) وسط الكهف، أي: في ثناياها. وقبل (كاف) سورة (كاف) ويقال لها: سورة مريم. وفيه جناس.

لغز في (عليّ)

ولي في «عليّ» أربعونَ، وَسَادةٌ أبو الحسَنَين الطَّالبيْ، وابنُ أحمدِ
وجدِّي عليٌّ، وابنُه وهْو والدي وسبْعونَ في عينٍ بأعداد أبجَدِ

والمعنى: لي في لفظ (عليّ) أربعون في حساب الجُمَّل، والإلغاز هنا في لفظ (لي) من (عليّ) لأنَّ الّلام بثلاثين، والياء بعشرة.

والمعنى: وكلمة (لي) أربعون في حساب الجُمَّل، وفي كلمة (عليّ) أسماء من السّادة المتقدمين، أولهم علي بن أبي طالب، أبو الحسين، وعلي بن أحمد ابن حزم، وكذلك جدّي، ووالدي، كِلاهما اسمه عليّ، والعين بسبعين في حساب (أبجد).

لغز في (اسم)

وما اسمٌ سَما بين الأسامِي، وأصلُهُ
مِنَ الوسْمِ مشتقٌّ لدى مَن سِوى البَصْري
وفيه لغاتٌ نحو عشرين واصطَفَى
لِأحرفِه الإهمالَ بالهمسِ والجهرِ
وأحرفُه في الحلقِ والشَّفتين والْـ
ـلِسَان ثلاثٌ دون زَيْدٍ ولا خُسْرِ

ومعناه واضح، وحروفه جمعت بين الهمس والجهر؛ لأن الميم مجهورة.

لغز

ولي مجمعًا يا ليلُ عند شُبيكَةٍ	وأُمِّ القرى جمعًا وأمِّ الورى نَفْعَا
وسِيري له بالعادياتِ وفِيلَهُ	وكوني له عَينًا وكوني له سَمْعا

المعنى: (ولي) الواو عاطفة، اللّام فعل أمر من (وليَ) الياء فاعل (ياء المخاطبة)، وهذا الفعل من (ولي يَلي) بمعنى: تبع.

(يا ليلُ) منادى مرخم، أصله يا ليلى.

(شبيكة) تصغير (الشبكة) العالمية، وفيه تنويه بالمجمع الشبكي.

(وأمّ) أصلها أمي فعل أمر من أمَّ، وحذفت الياء لالتقاء الساكنين، والأصل أن تُكتب ولكن حُذفت للإلغاز.

ومعنى (جمعا) جمعا للَّهجات في القرى.

ومعنى البيت الثَّاني: (سيري له بالعاديات)، (العاد): اسم فاعل من عدا يعدو، كالجمل والفرس ونحوهما، و(يات) فعل مضارع، جواب (سيري)، وخفِّفت همزته، ولكنه يوهم أنَّ اللفظ واحدٌ، وهو «العاديات». و(فِي) فعل أمر من وفى، والياء للمخاطبة، ورسمت بالفصل؛ لبيان أنَّه لغزٌ.

لغز لفظيٌّ

وقد رَانَ بين النّاس قدري وقدرَها

وذاقلَماهَا مثلُ ثَغْري ومَبسِمِي

المعنى: (ران) من الرين، وقد(رها) بمعنى ضعف، وذا (قلماها) مثنى قلم، (وذا) اسم إشارة، لكن المقصود: وذاق لَماها، أي: طَعِمَ شفتيها، وأصل اللَّمى مثلثة اللّام: سُمْرة في الشَّفَة.

لغز في (علوم الحديث)

سألتُكمْ عما يَلي ... مستضْعفٌ قدِ ابتُلي
بسَقْط رأسٍ من عَلِ ... والشَّافعيْ لَم يقبَلِ
ولمْ يكنْ برجُلِ ... مُسلسلٍ أو مُرسَلِ

الجواب: المرسَلُ.

المرسل في علوم الحديث: هو ما سقط منه الصحابي، واختُلف في قبوله، ولم يقبله الشَّافعيُّ وأكثر أهل الحديث، ومعنى البيت الثالث: الملغز فيه ليس برجلٍ مقيّد أو مرسل، بل هو مصطلح عند أهل الحديث، هو المرسل.

لغز في (سماء)

وما اسمٌ به ماءٌ ويَنزِلُ منه مَا ... وفي قلبهِ مِنْ غيرِ مدٍّ أخو غَدِ

الجواب: سَمَاء. وتفصيل ذلك: به ماء؛ لأنه إذا حذف السين بقي لفظ (ماء). (وينزل منه)، وهو السَّماء، (ما): أي: ماء، وقصر للوزن، والقصر لغة.

ومعنى: (وفي قلبه ...)، أي: إذا قُلب وقرئ من آخره من غير مدٍّ صار اسمًا لأخي الغد، وهو (أمس).

لغز في (العقيدة)

يــا مَــنْ عــذيرِي مــن خليــلٍ أشــعريْ
معتزلـــيْ يـــجْبرُني ومـــا جَبَـــرْ
يرجـــئ في الوصـــل ولا يفـــي بمـــا
أوجبـــه الحـــبّ، وعُـــذْره القـــدَرْ

(أشـعري): كثيـر الشَّـعر، (معتزلـي): أي: يعتزلنـي، (يجـبرني)، أي: يغصبني على الصَّبر، (وما جبر): الكسر الذي أحدثه الجفاء والصُّدود. (يُرجئ الوصل..)، أي: يؤخِّر الوصلَ، ويحتجّ بالقدر.

لغز فقهيّ

يــا شــيخَ فقــهٍ بمبنــى العابدِيّــة هــلْ
تجيــبُ فَــورًا علــى التَّســآل دون مِــرا؟
زيــدٌ لــه امــرأة حَسْــنا، وجــازَ لَــهُ
دون اضــطرارٍ، ولا نَسْــيٍ، ومــا جُبِــرا
تقبيــلُ أخــتٍ لهــا شــقيقةٍ، ولــهُ
مــسٌّ لِعَورتهــا إن شــاء لــو قَــدَرَا

هذا رجل تزوَّج امرأة وماتتْ، وتزوج أختها قبل دفنها، فله أن يمسَّ أختها ويغسِّلَها.. وفي ذلك خلاف، ويرى بعض العلماء أنه لا يجوز أن يراها ولا يغسلها؛ لأنها بوفاتها بانت منه.

لغزٌ

سَـلامٌ علـى إسـراءَ أَيـلِ الفَـلَا شَـكْلَا
ومـن رِيـمَ مـن حِـبٍّ وهـامَ بـه طِفـلَا
دِثـــارَ قتيـــلٍ صِـــدتِه ونحرتِــــه
بموسى[١] وعِيسَاقًا[٢] يريد لـكِ الوَصْلَا
ألا إنَّ[٣] لــي وَأْيَــا ظِبَــا أرضِ وَجْــرةٍ
ومِلْنَ إلى داري وجِئنَ إلى سَهْلَا[٤]
رأيــتنَّ في بيتــي بُيــوتَ ابــنِ مالــكٍ
ولمتُنَّني جَهلًا بمن كَان -يا[٥]- أَهـلَا

---

(١) آلة الذبح.

(٢) تُكتب هكذا للإلغاز، وأصلها: وَعِيْ ساقًا، وهو السّاق المعروف الذي تتصل به القدم.

(٣) فعل أمر من (وَأَى).

(٤) إلى قمة (مجيئًا سهلًا).

(٥) أصله: يا هؤلاء أهلًا، كقراءة الكسائي: {ألا يا اسجدوا}، أي: ألا يا هؤلاء اسجدوا.

ونثر اللّغز هكذا: سلامٌ على المحبوبة المسمّاة (إسراء)، التي تشبه الأيّل، وخفّفت الياء ضرورة للإلغاز، وسلامٌ على من رِيمَ، أي: طُلِب من حِبٍّ، أي: محبٍّ، وهام بها منذ طفولته، ثم يقول لها: دثار، أي: ادفعي دية ثأر من قتلتَه، فعل أمر من (ودى يدي): إذا دفع الدِّية، وحُذفت الياءُ للإلغازِ. ومعنى (نحرته بموسى)، أي: بسكين، و(عِي) من الوعي، و(السَّاق) معروفٌ، وهو الذي يمشي به إلى وصلها.

سؤال (لغوي قرآني)

سألتكمُ صَحبي سؤالَ محقّقٍ ... عن الفعل في قول الإلهِ المعظّمِ

{تَوَلَّوْاْ} بعمرانٍ، بأوّلها، وإنْ ... أتيتُمْ بوزْنِ الفعلِ جئتم بمَغنَمِ

المراد: السُّؤال عن نوع الفعل (تولّوا) في قوله تعالى: ﴿فَإِن تَوَلَّوْاْ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾[آل عمران: ٣٢]؛ لأنّه يكون ماضيًا، ومضارعًا[1].

لغز

إنّــي أتيــتُ الجامعــةْ ... في الصــبح عنــد التاســعةْ

وفي الفَــلا غزالــــةٌ ... تجــرِي وَراهــا الجامعــةْ

الجامعة: من أسماء الضَّبع.

---

(١) قد فصّلتُ الإجابة عن ذلك في فتاوى اللغة والتفسير.

لغز (لغوي)

البَلَصُـــــوصُ طـــائرُ وجمعُــــهُ بَلنصَـــــى
ولـــو ســـألتَ جَامعًـــا عـــن جمَعِـــه لغَصَّـــا

(البَلَصُوص): طائر، قيل: جمعه: بلنصَى، وقيل: بل المفرد (بلنصَى)، وقيل: الذَّكر: بَلصُوص، والأنثى: بَلَنْصَى.

لغز في (النّحو)

إنّـــي وجـــدت مبتـــدًا وخـــبرًا
والمبتـــدا جمـــعٌ أتـــى مـــذكَّرا
خـــبرُه مؤنَّـــثٌ، والطرفـــانْ
أعنـــي كـــلا الجمعـــين فيـــه ســـالمانْ

نثر اللّغز: جملة مكونة من مبتدأ وخبر، والمبتدأ جمع مذكر سالم، والخبر جمع مؤنث سالم.

والجواب: نحو: المسافرون جماعات متفرقة، والرّاوون ثقات.

لغز في (الدُّنيا)

وجدتها في البَهْو[١] ... في زينةٍ ومَهوِ[٢]

تُريدني أن أهوِيْ[٣] ... بعشقها بِذَهْوِ[٤]

وأن أَرى ضَرَّتها[٥] ... شوهاءَ دومًا تهوي

وأن أُرى كرَجُلِ ... مُدَلَّهٍ إنْزَهوِ[٦]

وأن أكون سامِدًا[٧] ... في غفلتي وسَهوِي

مفتتنا بشهوةٍ ... أو شُهرَةٍ وزَهْوِ

فلُذتُ بالباب الّذي ... يوصِلُني للطَّهْوِ[٨]

ثم عَجِلتُ مُسرعًا ... إلى مكانٍ رَهْوِ[٩]

فَضَربَتْ بيدها ... مثل جَناح الرَّهْوِ[١٠]

واستضحكتْ قائلةً ... من عجبٍ: يا لهْوِي[١١]

---

(١) مكان واسع.
(٢) لؤلؤ.
(٣) أسقط.
(٤) بكبر.
(٥) الآخَرة.
(٦) متكبّر.
(٧) لاهيًا.
(٨) أي: العمل للآخرة.
(٩) المكان المرتفع.
(١٠) الطائر.
(١١) على اللهجة المصرية.

هذه الأبيات في الدنيا، وهي أشبه باللّغز، لما فيها من الكنايات والتعمية، ومعناها واضح عند التأمل.

(لغز في طائر)

يا أيّها الشُّعَرا إني هناكَ أَرَى
بقربكم مُرسَلًا ولم يكن بَشَرا
وليس من جِنَّةٍ وبعدكم ذُكِرا

الجواب: هو الهدهد، الذي أرسله سليمان بكتاب كريم إلى ملكة سبأ.

والخطاب في اللُّغز للشعراء، لأن لفظ «الشعراء» اسم للسورة التي وردت بعدها السورة التي ذُكر فيها (الهدهد) وقصته، وهي سورة النَّمل.

لغز في (هادي)

بِاسْم المهيمن العظيم المننِ موفق العَبدِ الفقير المؤمنِ
أَبدأُ في القولِ وقولي مرتضى عند أُولي العلمِ وأهلِ السننِ
ولستُ ذا فخرٍ ولا مدحٍ ولا تعاظمٍ ولا أقولُ: إِنّني

كلّا ولكنْ في الضُّحى ويوسفٍ وغيرِها فيه الَّذي يَعضُدني
ومن حديث الحشو والترابِ والذْ ذَمِّ الذي جرى به يخرجني
فسل أبا زيدٍ وغَيلانَ وسَلْ أبا عليٍّ وَوليدًا وبَنِي
جميعِهم، وإنّني لملغزٌ بواحدٍ وأربعٍ في عَلَنِ
ما اسمٌ بِـ (ها) أوّلُه، وآخرٌ بُـ (دِيْ) خِتامُه بكلِّ قرنِ
يداهُ في القلب على بيّنةٍ لِذا لَه مصحَّفا ولا تَني
هذى به الهاذي، وهذِي جملةٌ قد قلتُها لكي تفوزوا يا بَنِيّ

هذا لغزٌ نظمته من قديم، ومعناه: أنَّ أوّله (ها)، وآخره (دِي)، وإذا قُلب صار (يداه)، وإذا صُحّف صار (هاذي) من الهذيان.

وقلت ملغزًا في (حازم)

يا لطيف الكَشْح والمقلَةُ أحلى أنتَ أبهى منَ رأت عيناي كُحْلَا
كم سَبَت عيناك من مستنسكٍ فغدا بين يدي حسنك طفلَا
سَل قتيل الحبِّ عن مسألةٍ إنْ وعاها فأجبه منك فضْلَا
ما اسمُ جافٍ في الهوى عن مألفي حاز بعضًا فأردْنا منه كُلَّا[1]

(١) المقصود (حاز) وهو بعضه.

ومُـزاحٌ[١] قلبـه عـن مـأثم ويح قلب بعد جدٍّ صار هزلَا
بثمـان مقبـلٌ[٢] ثُمَّـت خمسٌ في ثمـانٍ[٣] مـدبرٌ كيـف تـولَّى
وثمـان بـين بـين[٤] ليتَ شعري أمـديحٌ أم هجـاء؟ قلـتُ: كـلَّا
بـل مـديح إذ لسـبعٍ جـاء فتحًـا فتحه من قبل فتحٍ فاق قـتلَا[٥]
ولفحلٍ[٦] دون بعضٍ وهْو عُدْمٌ مَـعَ سَـبْعٍ وبسـبع كـان فحـلَا[٧]
وحـوى مـن غيـر رُبْـع آخِـرِ[٨] كيف يحوي فاقدٌ رجْلا ورجْلا
نبئـوني أهـل علـم مـا الـذي ألغـز الحربـيُّ فيـه مشـمعلَّا[٩]؟

لغز في (علم الرِّجال)

وحيَّـرني شَـهرٌ، وكـان مسـدّدٌ يُصاحِبُ جُعفيًّا وليس بمسلمِ

---

(١) مقلوب حازم).
(٢) لأنّ الحاء بثمانية في حساب «أبجد».
(٣) أي: لأنّ الميم في آخره، وهي بأربعين.
(٤) لأنّ الزّاي بسبعة، والألف بواحد.
(٥) معناه: أنَّ آخره وأوله، وهو (حم) قبل سورة الفتح التي قبلها سورة القتال.
(٦) دون حرف الزّاي، فيصبح (حَام)، وهو المذكور في سورة المائدة.
(٧) نسيت ما قصدتُه هنا، ولعليّ أردتُ أنّه إذا كان معه الزّاي، وهو بسبعة في حساب الجمّل، فإنّه يخلو من الفحولة، فإذا كان معه الزّاي اتّصف بالحزم، والفحولة من ذلك.
(٨) لأنّه حذف ميمه، يصبح اللّفظ (حز)، وهو بمعنى حوى.
(٩) اشمَعلّ: أشرف، واشمعلّ القوم في الطلب: بادروا فيه.

المراد بـ «شهر» شهر بن حوشب، الرَّاوي المشهور، المختلف فيه، المتّفق على كثرة أوهامه وإرساله.

و«مُسدَّد» هو مسدّد بن مسرهد، ثقة، روى له البخاري ولم يَروِ له مسلم، وهذا معنى قولي: (يصاحب جُعفيًّا، وليس بمسلم).

لغزٌ في (المنطق)

يَرومُ شُهودي عنده وصُدودي	يريد لأنْ أبقى بغير رقودِ
تعلَّمَ منعَ الجمعِ بعد خلوِّهِ	ومانعَ جمعٍ مَعْ خلوٍّ وجودي
وحمَّلني جمعَ النَّقيض ورفعَه	ولم يرضَ أن أبكي بدار ثمودِ

النَّقيضان: كالوجود والعدم، لا يجتمعان ولا يخلو الشَّيء من أحدهما.

والضِّدان: لا يجتمعان، ولكن قد يرتفعان، كالسَّواد والبياض.

ومانعة الجمع في المنطق، كقولنا: إمّا أن يكون هذا أبيض أو أسود، ومانعة **الخلو**: نحو: زيدٌ في البحر أو لا يغرق، ومانع الجمع والخلو: العدد إمّا زوجٌ أو فردٌ.

لغز في (فاكهة)

وفاكهةٍ تُسمَّى باسمِ حَرْفٍ	يكررّ وهو مَفتوحٌ بمدِّ

تراهـــا كالطَّمـــاطم دُون شـــكٍّ ولكـــنَّ المـــذاقَ مـــذاقُ شَـــهْدِ

الجواب: فاكهة (الكاكا)، والمعنى واضح.

طائفة أخرى

من هذه الألغاز ما هو مواضعة، أضع لرفيقي لغزًا نظمًا، ويضع مثله في مسألة أخرى.

ومن ذلك:

ومـا تـابعٌ سَـاوى متابعَـه، ولـم يُخـالِفْ لـه لفظًـا ولا زنـةً قـطُّ
ويتبـع في الإعـرابِ أيضًـا، كأنّـه جماعـة بيـتٍ جـاء بعـدهم قِـطُّ

الجواب: التَّوكيد اللَّفظي.

لغز

خُذْ رَشْفةً مـن شايِكَ المخضَـرِّ واذكر ليَ اسمًا وهْو حَرفُ جرِّ

الجواب: هو لفظ (علاء) بالقصر، أي: بحذف الهمزة هو اسم، ولفظه لفظ حرف الجر (على) وقد تقدم نظيره.

وقد ضاع[١] بعضُها، وهي قليلة، كانت في مجلس واحد، ولا أتذكر الرَّدَّ على ذلك.

وقد احلولى لي أن أذيل الموريات بمقالين، أحدهما لي، والآخر لأبي عبد الرّحمن[٢] ابن عقيل الظّاهري، مع قصيدة ابن الخشاب في الألغاز، التي وعدتُ بإلحاقها؛ تتميمًا للفائدة.

---

(١) ضاع المسك يضوع: فاح عبيره، وضاع الشَّيء: هلك وتلف، وكلّ من المعنيين مراد، والختام يناسب الأوّل.

(٢) الذي عليه المحققون أنَّ من مواضع إثبات ألف (ابن) مجيئَها بين علمين لا يكون العلم الثَّاني منهما أبًا مباشرًا للأوَّل. ولمجمع اللغة العربية على الشَّبكة العالمية بمكة قرارٌ صادرٌ بذلك، منشورٌ في العدد الثامن من مجلة المجمع، وممَّا اشتمل عليه إسقاط ألف (ابن) إذا كان بين علمين، ولو كان أوَّل السَّطر.

كلمة مشتملة على طائفة من الألغاز أُلقيتْ في تكريم ابن عقيل الحنبلي

الشّيخ العلامة عبد الله بن عبد العزيز العقيل الفقيه الحنبلي، صاحب التّحقيقات والتّدقيقات في الفقه، وصاحب النّوادر والمُلح في فنون النّحو والصّرف والتّفسير والأدب وغيرها، وله فتاوى مطبوعة تدلّ على تحقيقه وضبطه ورسوخ علمه.

لقيته بمكة أوّل ما لقيته قبل خمسة عشر عامًا، ورأيتُ فيه من التّواضع الجمّ وطيب المعشر، وكرم الطِّباع وغزارة العلم ما يبهج الخاطر ويقرّ عين النّاظر. وحين لقائي له بمكة عَرف اشتغالي بالنّظم العلمي، وكنتُ أيامئذ على وشك طباعة كتابي «ما هبّ ودبّ» فأسمعتُه حفظه الله مقطعات منه من نظمي في الطّبّ، ونظمٍ آخر في العقيدة والفرق والمذاهب، وعرفتُ من خلال ذلك أنّ الشّيخ صاحب ذائقة فائقة في الأدب وحسّ مرهف في الشِّعر والنَّظم وتحقيق دقيق في العلم، وأعجبَه ما ألقيتُه على سمعه وأحبَّه.. وطلب المزيد وبادلني به شيئًا من محفوظه الجمّ، وتوالت اللقاءات بعد ذلك في كلّ عام مرّة أو مرّتين أو أكثر، وزاد العلاقة توثيقًا وقوّة وجود شيخنا العلامة النّحرير أبي عبد الرحمن ابن عقيل الظّاهري بمكة، فكان الشيخ ابن عقيل الحنبلي يزين كلّ لقاء بما يطرحه من جليل المسائل ودقائقها، ولا يكاد يخلو مجلس من طرحه للغز علميٍّ في شعر أو نثر يطرحه على الحاضرين.

والمخالط للشيخ يجد أنّه على نظام وترتيب دقيقين يدلان على عقل منظم في الفكر والنّهج السّوي، وسأتناول جانبين من سيرته، أحدهما عملي، والآخر علمي.

الأوّل: رحلاته إلى مكة.

الثاني: عنايته بالألغاز العلمية، وهو الجانب الأكبر.

أمّا رحلاته إلى مكة: فقد كان الشيخ ولا يزال إلى اليوم يأتي إليها كلّ شهر مرّة، يمكث بها الأيام الثّلاثة التي هي الثَّالثَ عشرَ والرَّابعَ عشرَ والخامسَ عشرَ من كلِّ شهر هجري (الأيام البيض) يصومها بمكة، يفعل ذلك كلّ شهر إلَّا المحرَّم فإنّه يصوم اليوم التّاسع والعاشر والحاديَ عشر، ويكون في مكة أيضًا، عوضًا على الأيام البيض، ولا أدري كيف يكون صيامه في شهر ذي الحجّة.

ولعل الشيخ اختار أن يكون صيامه بمكة بدلًا من الصّيام في موطن إقامته لأمور، منها:

ابتعاده عن المناسبات الملزمة التي يشقّ عليه الخلاص منها بين أهله وأقاربه وهم كثير، فتضطره في بعض الأحيان إلى الإفطار أو لا تعينه على أداء صيامه؛ لأنّ الأسباب حين توجد تُضعف الدّافِعَ إذا كان عن تطوع.

ومنها: أنّه تجتمع له مع فضل الصّيام فضائل أخرى بسبب فضل المكان والصيام، ممّا يعينه على الإكثار منها.

ومنها: أنّ الغرض الأوّل هو الإتيان إلى مكّة في كلّ شهر ولو مرّة، فوافق أن يجعل ذلك في وقت صيامه، وإنّما ذكرتُ هذه الأسباب حتى لا يظن أحدٌ أنّ مثل هذا التّخصيص والمداومة عليها نوع من البدعة الإضافية، وانتحلتُ هذه الأسباب أيضًا لمعرفتي بالشيخ وحرصه على السّنّة، ودرايته التّامّة بمثل هذه الواردات، وكان حفِظه الله وجعَله ممّن طال عمره وحسن عمله يلتقي في مكة بأئمة الحرم وأهل العلم، وربما قرأ عليه بعض طلبة العلم في الفقه وغيره.

ثانيًا: معرفته وعنايته بالألغاز العلمية:

العناية بدقائق المسائل لتقوية الذّهن وتربية الملكة من شأن العلماء منذ القدم، وقد صنّف فيها مصنفات وعنى بها العلماء نظمًا ونثرًا، وفي المكتبة الإسلامية أكثر من مئة مصنف في الألغاز في الفقه والحديث والنّحو الصّرف والبيان والعروض والقوافي والتّاريخ، ومن ذلك كتاب أهداه إليّ الشّيخ نفسه، وهو كتاب «حلية الطّراز في حلّ مسائل الألغاز» على مذهب الإمام أحمد بن حنبل، تأليف أبي بكر بن زيد الجراعي، وكتب لي في صفحة عنوانه هذه الأبيات الأربعة أوردها استدلالًا على تمكنه في النّظم ومعرفته به ورِقّة طبعه، وليس عندي غيرها:

قال يحفظه الله:

هديةٌ إلى الأديبِ الصّاحبِ	أبي محمّدِ الأديبِ الثَّاقبِ
أعني به عبدَ العزيز الحربي	مَن فاق كلّ قومنا والصَّحبِ
لعلّه يفيد من مضمونها	ويُخرج المكنونَ من مخزونها
ممّا حوته من أحاجي وغُرَرْ	وعُجَرٍ أيضًا كذاك وبُجَرْ

وما ذكره -حفظه الله- من الثناء هو من باب التشجيع لِابنٍ من أبنائه وتلميذٍ من تلامذته.

والآن أسوق بعض ما كان يطرحه من أسئلة وألغاز يوقظ بها الوسنان، ويحرِّك بها الأذهان؛ لتنبيه الخواطر وبعث الهمم، فمن ذلك - وهو أوّل ما سمعته منه- هذا اللغز المضمَّن في هذين البيتين:

سألت الخثعميَّ أبا يزيدٍ	غداة أتى ونحن نسير سيرا
ولم ألحفْ عليه ولم أكرِّرْ	فجاد به جزاه الله خيرا

والسؤال في اللغز: ما الذي سأله الخثعمي؟

وأترك جوابه وجواب سائر الأسئلة من بعده للقارئ ليتأمّل فيها كما تأمّلنا، وليس بعسير.

ومن ذلك سؤال طرَحه في إحدى ليالي رمضان عن آية تكرر فيها لفظ (الله) سبع مرّات، وسؤال آخر عن أحدَ عشرَ قَسَمًا متتابعًا في سبع آيات.

ومن ذلك هذا اللغز في هذين البيتين:

إلـــى نســـاء ينتمـــي   بســـوقهنَّ يوجـــدُ
الجســـم منـــه فضـــةٌ   والقلـــبُ منـــه جَلْمَـــدُ

ما الذي قصده الشّاعر؟

ومن ذلك هذا اللغز العسر:

ومـا شـيءٌ إذا حـاز انبسـاطًا   رأيـت الـنّفس منه في انقبـاضِ
قريـبٌ منـك تلمسُـه بكـفٍّ   وتبصـره بأحـداق مـراضِ
فقبـل الفجـر يشـرع بارتفـاع   وبعد العصر يسرع في انخفاضِ

وقد أجبت عنه بعد الاستعانة بمعالي الشيخ صالح ابن حميد يحفظه الله.

ومن ذلك قول الشّاعر:

سَلِّمْ على شيخ النّحاة وقل لـه   هـذا سـؤالٌ مـن يُجبـهُ يُعَظَّـمِ
أنا إن شككتُ وجدتموني جازمًا   وإذا جزمـتُ فـإنني لـم أجـزم

وآخر البيت الأوّل يضبطه الشيخ هكذا:

(يُجبهُ يُعَظَّمِ) وهو صواب، والذي أعرفه بإشباع الهاء وفتح الياء (يعْظُم)، وهو صواب أيضًا.

ومن باب المطارحة الأدبية والمثاقفة العلمية طرحتُ عليه لغزًا فقهيًّا في الأبيات التّالية:

إلى الشيخ عبد الله نجل عقيلهم سؤاليَ منظومًا بعِقدٍ منظّم
رجالٌ عدولٌ شاهدون على زنًى كَعابٍ رأوا ذيّاك في فرجِها رُميْ
شهادتُهم رُدَّتْ وحُدَّ ثلاثة وما حُدَّ ظهرُ الرّابع المتكلِّم

طرحتُه عليه بحضرة عدد من العلماء بمنزل الشيخ محمّد السُّبيِّل.

ولغزًا آخر في اسم (عقيل):

اسمُ الذي تيَّمني أذهلَني بعقلِهِ
إنْ عينُه مغمضةٌ رأيتَني في ظلِّهِ
وإن يكن بدونها قيل (بقي) من كلِّهِ
وقلبُه مطَّرَحٌ من ذا الذي كمثلِه؟

ولأنّ في اللغز شيئًا من الغموض والخفاء أوضحه وأشرح طريقة الإلغاز فيه: أمّا البيت الأول فمعناه واضحٌ، وأما الثّاني فمعناه: أنّ العين منه -وهي (عقيل)- إذا كانت مغمضة أي: منطمسة تحرّف إلى مقيل، هو مكان القيلولة، وهذا معنى قوله: (رأيتني في ظلّه)، وأمّا البيت الثالث فمعناه: إن لفظ (عقيل) إذا كان بدون العين فالباقي منه لفظ (قيل) وهذا واضح، وأمّا البيت الرابع فالمراد به أنّ لفظه المقلوب وهو (ليقع) مقلوب (عقيل) مطروح لا وجود له في معاجم اللغة العربية.

ولا شكّ في أنّ الإلغاز في قولي (وعينُه مغمضة).

وقولي: (وقلبه مطرح) هو بيت القصيد وهو الذي فيه التعمية. وإنّما ألغزتُ في هذا اللفظ لما أحمله من المودة الأكيدة والوفاء الصّادق لمن يحمل هذا الاسم الذي كان أوّل داع إلى الإلغاز فيه، ولا سيما العالم الأغرّ، والوالد الأبرّ، محمد بن عمر .. المنتسب إلى عقيل، هو وصاحب التّرجمة. حفظهما الله، ونفع بعلومهما. آمين.

وكتب:

عبد العزيز بن علي الحربيُّ

تعليق ابن عقيل الظَّاهري على المقال السَّابق[(١)]

قال أبو عبد الرحمن: لقد نشرتُ نبذةً عن حياة الشيخ [عبد الله ابن عقيل] في الأحدية التي شرَّف بها بيتي عام ١٤٢٨هـ، وفيها هذه النماذج من مطارحات الشيخ الأدبية على طريقة الفقهاء ممَّا أورده تلميذه الدُّكتور عبد العزيز الحربي[(٢)]: «العناية بدقائق المسائل لتقوية الذهن وتربية الملكة من شأن العلماء منذ القدم، وقد صُنِّف فيها مصنفات، وعُني بها العلماء نظمًا ونثرًا.. وفي المكتبة الإسلامية أكثر من مئة مصنف في الألغاز في الفقه والحديث والنحو والصرف والبيان والعروض والقوافي والتاريخ.. ومن ذلك كتاب أهداه إليَّ الشيخ نفسه، وهو كتاب «حلية الطراز في حل الألغاز» على مذهب الإمام أحمد بن حنبل، لأبي بكر بن زيد الجراعي، وكتب لي في صفحة عنوانه هذه الأبيات الأربعة أوردها استدلالًا على تمكُّنه في النظم ومعرفته به ورقة طبعه، وليس عندي غيرها.. قال يحفظه الله [بل «حفظه الله» أدلُّ على الدُّعاء بمألوف العرف اللغوي والشرعي، مثل عافاه الله، وعاقبه الله، وجزاه خيرًا.. إلخ][(٣)]:

---

(١) المقال طويل، وقد حذفتُ من أوَّله وآخره ما لا علاقة بالمقال السَّابق.

(٢) هي التي ألحقتُها قبل قليل، لكنها هناك خالية من تعليقات الشّيخ.

(٣) قال أبو محمّد: أكثر ما ورد في السُّنّة من ذلك بصيغة المضارع، ومنه دعاء التّشميت: «يرحمك الله، ويهديكم الله ويصلح بالكم»، وقول النَّبيّ ﷺ: «يغفر الله لفلان»، وهو كذلك في القرآن، ومنه: ﴿ قَالَ لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ ٱلْيَوْمَ يَغْفِرُ ٱللَّهُ لَكُمْ ﴾ [يوسف: ٩٢]، وهو أكثر أدبًا، وأدلّ على معنى الاستمرار والتّجدّد.

هديـة إلـى الأديـبِ الصَّـاحبِ أبـي محمّـد الأديـب الثَّاقـبِ

أعنـي بـه عبـد العزيـز الحربـي من فـاق كلّ قومنا والصّحب

لعلّـــه يفيـــد مـــن مضـــمونها ويخرج المكنون من مضمونها

ممّـا حوتـه مـن أحـاجي وغُـرَرْ وعجـرٍ أيضًـا كـذاك وبُجَـرْ

[قال أبو عبدالرحمن: بحر الرَّجز نثري لا شعري بما دخله من زحافات تخنق الإيقاع] وما ذكره حفظه الله من الثناء هو من باب التشجيع لابن من أبنائه وتلميذٍ من تلامذته. والآن أسوق بعض ما كان يطرحه من أسئلة وألغاز يوقظ بها الوسنان ويحرك بها الأذهان لتنبيه الخواطر وبعث الهمم؛ فمن ذلك -وهو أول ما سمعته منه- هذا اللغز المضمَّن في هذين البيتين:

سـألت الخثعمـي أبـا يزيـد غـداة أتـى ونحـن نسير سيرا

ولـم ألحـف عليـه ولـم أكـرِّر فجـاد بـه جـزاه الله خيـرا

والسؤال في اللغز: ما الذي سأله الخثعميَّ؟.. وأترك جوابه وجواب سائر الأسئلة من بعده للقارئ ليتأمل فيها كما تأملْنا [قال أبو عبدالرحمن: هذا لا يكفي.. إلى متى ننتظر والأرواح يُغْدى عليها ويُراح]، ومن ذلك سؤالٌ طَرَحه في إحدى ليالي رمضان عن آية تكرر فيها لفظ (الله) سبع مرات، وسؤال آخر عن أحد عشر قَسَمًا متتابعًا في سبع آيات، ومن ذلك هذا اللغز في هذين البيتين:

إلـــى نســـاء ينتمـــي بســـوقهن يوجـــد
الجســم منــه فضــة والقلــب منــه جلمــد

ما الذي قصده الشاعر؟ ومن ذلك هذا اللّغز العسِر:

ومــا شــيء إذا حــاز انبســاطًا رأيـت الـنّفس منـه في انقبـاض
قريــب منــك تلمســه بكــفٍّ وتبصــره بأحــداق مــراض
فقبـل الفجـر يشــرع بارتفـاع وبعد العصر يسرع في انخفاض

وقد أجبتُ عنه بعد الاستعانة بمعالي الشيخ صالح ابن حميد [بعد الله] يحفظه الله [بل حفظه الله]، ومن ذلك قول الشاعر:

سلِّمْ على شيخ النّحاة وقل له هـذا سـؤال مـن يجبـه يُعظـمِ
أنا إن شككتُ وجدتموني جازمًا وإذا جزمـت فـإنني لـم أجـزم

وآخر البيت الأول يضبطه الشيخ هكذا: (يجبهُ يُعَظَّمِ) وهو صواب، والذي أعرفه بإشباع الهاء وفتح ياء (يعظم) مع سكون العين وضم الظاء مخففة، وهو صواب أيضًا.. ومن باب المطارحة الأدبية والمثاقفة العلمية طرحت عليه لغزًا فقهيًّا في الأبيات الثلاثة الآتية:

إلى الشيخ عبد الله نجل عقيلهم ســؤاليَ منظمًــا بعِقــدٍ مــنظّم
رجالٌ عدولٌ شاهدون على زنَى كَعاب رأوا ذيَّاك في فرجها رُمي
شــهادتهم رُدَّت وحُــدَّ ثلاثــة وما حُدَّ ظهرُ الرّابع المتكلِّم



طرحتُه عليه بحضرة عدد من العلماء بمنزل سماحة الشيخ محمد السبيل، ولغزًا آخر في اسم (عقيل):

اسم الذي تيَّمني	أذهلني بعقله
إنْ عينُه مغمضةٌ	رأيتَني في ظلِّه
وإن يكن بدونها	قيل (بقي) من كلِّهِ
وقلبه مطَّرَحٌ	من ذا الذي كمثله؟

ولأن في اللّغز شيئًا من الغموض والخفاء أوضحه وأشرح طريقة الإلغاز فيه.. أما البيت الأول فمعناه واضح.. وأما الثاني فمعناه: أن العين منه -وهي عين (عقيل)- إذا كانت مغمضة، أي: منطمسة تُحرَّف إلى مَقيل [بل إغماض العين إعجامها، ولن تتحوَّل العين إلى ميم في أي خطٍّ لم يتجاوز قواعد الخط]، وهو مكان القيلولة، وهذا معنى قولي: (رأيتني في ظله)، وأما البيت الثالث فمعناه: إنَّ لفظ (عقيل) إذا كان بدون العين فالباقي منه لفظ (قيل)، وهذا واضح، وأما البيت الرابع فالمرادُ به أن لفظه المقلوب وهو (ليقع) مقلوب (عقيل) مطروح لا وجود له في معاجم اللغة العربية.. ولا شك في أن الإلغاز بقولي: (وعينهُ مغمضة)، وقولي: (وقلبه مطرح) هو بيت القصيد وهو الذي في التعمية؛ [قال أبو عبدالرحمن: الدكتور عبد العزيز علَّامة فهَّامة، واللغز شديد التكلُّف]؛ وإنما ألغزتُ في هذا اللفظ لما أحمله من المودَّة الأكيدة

والوفاء الصَّادق لمن يحمل هذا الاسم الذي كان أول داع إلى الإلغاز، فيه ولا سيما العالم الأغرُّ والوالد الأبرُّ محمد بن عمر.. المنتسب إلى عقيل هو وصاحب الترجمة.. حفظهما الله ونفع بعلومهما آمين».

قصيدة ابن الخشَّاب(١)

سلا صَاحِبيَّ الْجَزْعَ مِن أبْرَقِ الْحِمَى ... عَن الظَّبيَات الخُرَّدِ الْبيضِ كالدُّمَى

وعُوجَا على أهلِ الْخيامِ بحاجِرٍ ... ورامَةَ مِن أهلِ الْعراقِ فَسلِّما

وَإن سَفَهَتْ رِيحُ الشَّمَال عَلَيْكُمَا ... ورِيحُ الصِّبا فِي أرْضِهَا فتحَلَّما

فَبيْنَ الْخيام أغْيَدٌ يَخطَفُ الحشَا ... مَرِيضُ جُفُونٍ للصَّحيحاتِ أسْقَما

يُرِيكَ الدَّياجِي إن غَدا مُتَجَهِّمًا ... وشَمْسَ الضُّحَى إمَّا بدا مُتَبَسِّمًا

ويَفْتَرُّ عَن دُرٍّ يُصَانُ بَهاؤُه ... ويَحرُسُ بالظَّلْم المُمَنَّعِ واللَّمَى

كَأَنَّ قَضِيبَ البانِ في مَيَسانه ... رَأى قَدَّه لَّما انْثَنَى فَتعلَّما

إِذا الرِّيحُ جَالت حولَ عِطْفَيْه أصبَحَتْ ... تَهُبُّ نَسِيمًا مَّا أرَقَّ وأنْعَما

يُقَيِّدُ مِن تَعْرِيجِه الصُّدْغَ عَقْرَبًا ... وَيُرْسِلُ مِن رَجْعِ الذُّؤابَة أرْقَما

لَهُ فِي قُلُوب الْعَالمين مَهابَةٌ ... تُبلِّغُه في حُكْمِه مَا تيَمَّما

وَحُثَّا إِلَى عبدِ الرَّحِيم رَكائبًا ... تُحاكِي قِسِيَّ النَّبْعِ فَوَّقْنَ أسْهُما

فَتًى جُمِعَتْ فِيهِ الْفَضَائِل رَاضِعًا ... ونَالَ العُلَى مِن قبلِ أَن يتكلَّما

حَلِيفُ التُّقَى تِرْبُ الْوَقارِ مُهَذَّبُ الْـ ... ـخِلالِ يَرَى كَسْبَ المحامِدِ مَغْنَما

يَبِيتُ نَدِيمًا للسَّماحِ مُعاقِرًا ... وَيُصْبِحُ صَبًّا بالمعالي مُتَيَّما

لَهُ خُلُقٌ كالرَّوْضِ غِبَّ سَمائِهِ ... تَضَوَّعَ مِسْكًا أذْفَرًا وتَبَسَّما

---

(١) أوردها بتمامها السُّبكيُّ في (طبقات الشَّافعية ٩/ ١١٦-١٢٣).

إذا جئتماه فامنحاهُ تَحِيَّة مُلُوكيَّة أو كَبِّراه وأعْظِما

وقُولا لَهُ: اسْمَعْ مَا نقُول وَلَا تكُنْ ضَجُورًا بِهِ مُستَثْقِلًا مُتبرِّما

رَأَيْنَاك فِي أثْنَاء قَوْلِكَ مُعْجَبًا بكونِك أوفى النَّاسِ فَهْمًا وأعْلَما

فَإِن كنتَ مِن أهلِ الْكِتَابَةِ واثِقًا بِنَفْسِك فِيهَا لَا تخَافُ تَهَضُّما

فَمَا أَلِفٌ من بعدِ يَاءٍ مَرِيضَة مُصاحِبة عَيْنًا تَخوَّفَها العَمى

تُظَنُّ إِذا الرَّاوِي غَدا ناطِقًا بهَا زَمِيرَ نَعامٍ فِي الفَلاةِ تَرَنَّما

وياءٌ إِذا مُدَّتْ غَدَتْ غير نَفسِهَا وَصَارَت حَدِيثا عَن جَواكَ مُتَرْجِما

وَإِن قُصِرَت كَانَت غُرابًا بقَفْرةٍ يَرُودُ لكَي يَلْقى خَلِيلًا وأَيْنَما

وسِينٌ أضافوها إِلَى الدَّال مَرَّةً فَصرَّحَ بالشَّكوى لَهَا ثمَّ جَمْجَما

يخَافُ إِذا مَا باح بالْقَوْل سَطْوَةً مِن الصَّاد أَو غِشًّا من الْمِيم مؤلما

وَمَا الْكَافُ إِن رُدَّتْ إِلَى أصل خَلْقِهَا وَمَا الْقَافُ إِن أضحى لَهَا مُتَقَدِّما

وَسِتَّةُ أَشْيَاخٍ تخالُ شُخُوصَهَا إِذا عُكِسَتْ نَجْمَ الثُّرَيَّا إِذا سَما

وحَرفانِ مَحسُوبان فِي الْعَدِّ سَبْعَةً تُرِيكَ غُبَارَ الجَوِّ طَار ودَوَّما

وَإِن كنتَ مِن أهلِ البلاغَةِ جَامِعَ الـ لُّغاتِ بأنواعِ الْأَقَاوِيل قَيِّما

فما كلِماتٌ هُنَّ عُرْبٌ صَرائحٌ يَعودُ الفَصيحُ إن شَداهُنَّ أعْجَما

وَإِن قُلِبَتْ أعيانُهنَّ وصُحِّفَت ترى مِصْقَعًا فِيهِنَّ مَن كَانَ أبْكَما

وَمَا السَّيْرَبَانُ والجَحوحةُ والضَّفا ضَفا الدَّارِ والسَّمرُ الغرانفُ والهَمَا

وَمَا الْحمل والتَّيمات والزَّام بعده وَمَا الجَعْفرِيَّات تَنَزَّى وزُغْلَما

وَمَا السَّفْحُ والفِرْغان والخَنْعُ والنَّقَى وقُـفُّ التَّـوالي والهُبابَـةُ والجَمـا
وَمَا الخَيْعَرُ المبثوثُ والشَّامخُ الَّذِي يُنـاطُ براعـونٍ ليُصـبحَ مُعْلَمـا
وَمَا الحَدَبُ الْهَادِي وَمَا أجْدَبُ الْكرَى وَمَا عَنْجمٌ إن كنت تعرفُ عَنْجَما
وَمَا الزِّبْرَقُ المائِيْ إذا غَابَ نَجْمُه وَمَـا الزَّنْبَقُ النَّـاوي إِذا هُـوَ أنْجَمـا
وَمَا العَنْقفِيس والمَلاحِيحُ والكُبَى وطارِسـةٌ والفادِحيَّـات عَظْلَمـا
وَإن كنـتَ مِمَّـن يَـدَّعِي عَرَبِيَّـةً ويَحقِرُ فِي النَّحْوِ الإمَامَ الْمقَدَّما
فَمَا لَفْظَةٌ إن أُعْرِبَتْ أَصبَحت لَقًى يَعـاف بهَـا الْمَـرْءُ البليـغُ التَّكلُّمـا
وَإن أُهْمِلَ الْإِعْرَابُ فِيهَا فَمَنْ غَدا بشَـيْءٍ سِواهَا ناطقًا كَانَ مُفْحَما
وَمَـا اسْـمٌ إذا ثَنَّـيْتَه وَجَمَعْتَـهُ تَنَصَّـفَ فيمَـا رُمْتَـه وتَسَـهَّما
وحَـرْفٌ إذا أعملتَـه صَـار مُعْرَبًـا وَفعـلٌ إذا عَدَّيتَـه صَـار مُـدْغَما
وَمَا حَرفُ عَطْفٍ لَيْسَ يُوجَدُ عاطِفًا إذا الْمَـرْءُ آلَـى في الْمقَـال وأقْسَما
وحَرفـانِ للتَّوكيـدِ ليسَـا لحَاجَـةٍ يُعَدَّانِ، بل يُرْجَى أَخُو النَّقْصِ مِنْهُمَا
وَمَـا مصـدرٌ قَـد أُلْزِمَ الرَّفْـعَ دَائِمًـا وَمَـا اسمان إن فتَّشت بِالْجَرِّ أُلْزِما
وَمَا نُونُ جَمْعٍ تَطْلُب الْكسرَ شَهْوَةً وَتكـرهُ أَن تَرْقـى إِلَـى الْفَـتْح سُـلَّما
تَرَى الْكَسْرَ غُنْمًا فِي يَدَيْهَا مُحَصَّلًا ويُعْتَـدُّ ذَاكَ الْفَتْحُ خُسْـرًا ومَغْرَمـا
وَإن كنتَ في علمِ الْعَرُوضِ ووَزْنِهِ وَجَمْـعِ القَـوافي للـوَرَى مُتَقَـدِّما
فَكيـفَ السِّـباحُ واللِّبـاس ونافـدٌ إذا الْبَيْـتُ زَاد الْـوَزْنُ فِيـهِ وأخْرَمـا
وَكَيـفَ السِّـنادُ والرِّفـادُ إذا غَـدا بوصْلٍ إِلَى أصل الزِّحافِ قد انْتَمى

وَمَـا كَلِمَـاتُ الْـوَزْنِ إن كنـتَ عَارِفًا ... بِهِـنَّ وَمَـا فعْـلانُ فِيـهِ وفَعْلَمـا

وَمَا الهَزَجُ المَرْمُولُ إن رُمْتَ شَرْحَه ... عَنِ الْقَضْبِ وَالْبَيْت الطَّوِيل إِذا جما

وَمَا الجَثُّ في بَحْرِ الْخَفِيفِ إذا غَدا ... سَـرِيعًا فلاقَـى جانيًـا فترمرمـا

وَمَا الْكَامِلُ المحسوب في بَحْرِ إلْفِهِ ... بسـيطًا إذا أضْـحَى مُـذالًا مُلَمْلَمـا

وَمَـا الخَبَـلُ المَطْـوِيُّ أصبَـحَ ناشِـرًا ... إذا هُـوَ بالتَّشْـعيثِ صَـار مُهَشَّـما

وَمَا الْكَفُّ وَالْقَبْضُ الْمُضَارِعُ مُشْكِلٌ ... بِنَـاءَ المَدِيـدِ بعـد أَن يَتَهَـدَّما

وَمَـا الـثَّلْمُ إن رُمْـتَ اقـترابَ اتِّفاقِـهِ ... وَمَـا الْحَـذفُ إن أَلفيـتَ بَتْـرًا وأثْرَمـا

وَإِن كنـتَ في نَظْـم القَـرِيض مُجَـوِّدًا ... وَكنـتَ عَلَيْـهِ قَـادِرًا مُتَحَكِّمـا

فَكيف يكونُ الرَّفْعُ وَالْقَطْعُ واصِلًا ... فَرِيـدَ الْمعَـانِي حِـين أصـبحَ تَوْأمـا

وَكَيـف الـرَّوِيُّ الْمُسْتَقيمُ وَمَـا الَّـذِي ... تَقُـول إذا أنشَـأتَ تنْعَـتُ عَنْـدَمَا

وَكَيف ترَى وَصْف السَّحَاب وَذِكْرَهُ ... إذا أَحْفَـرَتْ أهدابُـه وَإذا هَمَـى

وَوَصْـفُ أثـافيِّ الـدِّيار إذا انْطَـوَتْ ... مَحاسِنُها وابْـيَضَّ مَـا كَـانَ أسْـحَما

وَكَيف خروجُ الْمَدْحِ والهَجْوِ بَعْدَهُ ... جَمِيعًـا إذا كَـانَ النَّسِـيبُ مُتَمِّمـا

وَمَـا وَصْـفُ دَوْحٍ مُطْمَـئِنٍّ قـرارُهُ ... يُـرَى مُضْـمَحِلًّا بِالزِّيَـادَةِ والنَّمـا

وغادِيَـةٍ كـالطَّوْدِ تَحْسِـبُ جَرْسَـها ... جَوَادًا رأى الْخَيْلَ العِرابَ فَحَمْحَما

تَمِيـلُ إِلَيْهَـا الغاديـاتُ رواجِيًـا ... جَناهـا لِتَكْسُـوهُنَّ وَشْـيًا مُنَمْنَمـا

تحـطُّ بـأغوار الْـبِلَادِ رحالَهـا ... وَقد صافَحَتْ مِن قَبْلُ نَسْرًا ومِرْزَما

وَإن كنـتَ في الْقُـرْآن أتْقَـنَ حَـافِظٍ ... وأدْرَى بأصـنافِ الْخِـلافِ وأفْهَمـا

فَمَن جَعَلَ الْأَحْزَابَ تِسعين آيَةً وَزَادَ على التِّسعينَ عَشْرًا فتَمَّما
وَمَن جَعَلَ الْفرْقَانَ مِن بعد فاطِرٍ وصَيَّر قبلَ الْكَهْفِ سُورَةَ مَرْيَما
وَعَمَّن رَوَى ابْنُ الحاجِبيَّةِ وَحْدَهُ قِرَاءَته حَتَّى على النَّاسِ قُدِّما
وَمَن حَقَّقَ الهَمْزاتِ في سُورَةِ النِّسا ولَيَّنها في العنكبوتِ وأدْغَما
وَمَن زَادَ في مَدِّ الْحُرُوفِ وهَمْزها على ابْنِ كَثِيرٍ أَو أمال المُفَخَّما
وَمَن قَالَ: في الْقُرْآنِ عِشرُونَ سَجْدَةً وسِتٌّ ويَرْوِي ذَاكَ عَمَّن تَقَدَّما
وَمَن شَدَّد النُّونَ الَّتِي قَبْل «ربِّهِ» وخَفَّفَ لَكِنَّ الَّتِي بَعْدَهَا «رَمَى»
وَمَن وَصَل الْآيَاتِ جَحْدًا لِقَطْعِها وَمَدَّ الضُّحَى مِن بَعْدِ مَا قَصرَ السَّما
وَمَن حَذَفَ الياءاتِ مِن غير عِلَّةٍ وَأنْكَر في الْقُرْآنِ تَضْعِيفَ «رُبَّما»
وَإن كنتَ ذَا فِقْهٍ بدينِ مُحَمَّدٍ على ذِكْرِهِ صلَّى الْإلَهُ وسَلَّما
فَمَن جَعَلَ الْإِجْمَاعَ في البيعِ حُجَّةً وصَيَّره كالعُرْفِ ظنًّا مُرَجَّما
وَمَن رَدَّ مَا قَالَ ابْنُ عَبَّاسَ عَامِدًا ودانَ بِمَا قَالَ ابْنُ حَفْصٍ تَوَهُّما
وماذا يرى النُّعْمَانُ فِي أهل قَرْيَةٍ أَقَامُوا إِمَامًا للأنامِ مُجَذَّما
وَكَيف ترى رَأْيَ ابْنِ إِدْرِيسَ في فَتًى عَصَى وَغَدا في فِعْلِه مُتَأَثِّما
وَمَا حُجَّةُ الثَّوْرِيِّ فِيمَا يقيسُهُ إِذا لم يُثَبِّتْ فِيهِ أصلًا مُسَلَّما
وَمَا رأىُ شيخِ الْعلمِ مَالك فِي امْرِئٍ تَمَجَّسَ قَصْدًا بعد مَا كَانَ أَسْلَما
يُحِلُّ إِذا مَا أَحْرَمَ النَّاسُ بالضُّحَى وَإِمَّا أَحَلَّ النَّاسُ بِاللَّيْلِ أَحْرَما
وَلَيْسَ بِذِي ذَنْبٍ يُقَادُ بِفِعْلِهِ وَلَا قيل يَوْمًا: قد أَسَاءَ وأَجْرَما

وَإِن كنتَ في حفظِ النَّوائبِ أوْحَدًا   تُجَمِّعُ مِن أَخْبَارِهَا ما تَقَسَّما

فَمَن فَرَضَ التَّعْفِيرَ قبلَ صَلَاتِهِ   وَأَوْجَبَ في إِثْرِ الرُّكُوعِ التَّيَمُّما

وَمَن جَعَلَ التَّسْوِيرَ في الزَّنْدِ شِرْعَةً   وَمَن سَنَّ فِي إِحْدَى الْيَدَيْنِ التَّخَتُّما

وَمَنْ فَرَضَ الصَّوْمَ الرَّبِيعَيْنِ بعدَ أَن   يَصُومَ جُمَادَى كُلَّه والمُحَرَّما

وَمَن حَظَرَ التَّزْوِيجَ إِلَّا بِثَيِّبٍ   وصَيَّرَ تَزْوِيجَ البِكَارِ مُحَرَّما

وَمَن أوجَبَ التَّكْبِيرَ بعدَ صلَاتِهِ   على قَوْمِهِ فيمَا يُقَالُ وأَلْزَما

وَقَالَ: زَكَاةُ الْمَرْءِ مِن نِصفِ مَالِهِ   تكونُ وَإِلَّا صار نَهْبًا مُقَسَّما

وَمَن قَالَ: إِنَّ البيعَ لَيْسَ بجائزٍ   على الْمَرْءِ إِلَّا أَن يكونَ بعُسْرِما

وَمَن طَافَ حَوْلَ الْبَيْتِ سَبْعِينَ مَرَّةً   يَرَى ذَلِكَ التَّطْوافَ فَرْضًا مُحَتَّما

وَمَن فَرَضَ التَّسْلِيمَ في كلِّ رَكْعَةٍ   وَأَوْجَبَ فيها رَنَّةً وتَرَنُّما

وَإِن كنتَ مِمَّن يَدَّعِي عِلْمَ سِيرَةٍ   وحِفْظًا لأخبارِ الْأَوَائِلِ مُحْكَما

فَمَن صَامَ عَن أكلِ الطَّعَامِ نَهَارَهُ   مَعَ اللَّيْلِ يَطْوِي الصَّوْمَ حَوْلًا مُجَرَّما

وَمَن طَافَ نَحْوًا مِن ثَمَانِينَ حِجَّةً   على حَاجَةٍ لَيستْ تُماثِلُ دِرْهَما

وَفي يَدِه أَمْوَالُ قَارونَ كُلُّهَا   ونُمْرُودِ كَنْعَانٍ وأموالُ عَلْقَما

وَمَن قطَعَ الْبَحْرين في بَعْضِ يَوْمِهِ   وواصَلَ أَقْصَى الْبِرِّ سَاعَةَ أَعْتَما

وَمَن عَاشَ أَلفًا بعدَ ألفٍ كَوامِلٍ   يعوذ بِدَرِّ الثَّدْيِ مِن خِيفَةِ الظَّما

وَمِن مَلَكَ الدُّنْيا الخَئونَ بأسْرِهَا   ثَمَانِينَ يَوْمًا بعدَ عَامٍ تصَرَّما

يُذَبِّحُ أَوْلَادَ الْأَنَامِ تَجَبُّرًا   ويَسْتَحِي للنِّسْوانِ مِنْهُم تَذَمُّما

وَمَن هاب خَوْضَ النِّيلَ سَاعَةَ زَخْرِهِ وخَاضَ سَوَاءَ الْبَحْرِ وَالْبَحْرُ قد طَما

وَمَن سَارَ طُولَ الأَرْضِ يَوْمًا وَلَيْلَةً وَعَادَ على أعْقَابِهِ مَا تَلَوَّما

لَعَمْرُك إِنَّا قد سَألناكَ هَيِّنًا وَلم نَقْصِدِ الْمَعْنى العَوِيصَ المُغَمْغَما

فَفَكِّرْ وَلَا تَعْجَلْ بِمَا أَنْتَ قَائِلٌ وَسِرْ مُنْجِدًا تَبْغِي الْجَوابَ وَمُتْهِما

فَإِن أَنْتَ فيما قد سَأَلْنا بَيَانَهُ أصبتَ فَحَقٌّ أَن تُعَزَّ وَتُكْرَما

وَإِن أَنْتَ أَخْطَأتَ الصَّوَابَ وَلم تُجِبْ فَحَقُّكَ أَن يُخْشَى عَلَيْكَ وَتُرْجَما

فَمَا لَكَ عِلْمٌ بالأُمورِ وَإِنَّما قُصَاراكَ أَن تَرْوِي كَلَامًا مُنَظَّما

قال أبو محمد:

هذا آخر القصيدة الخشابيَّة في الألغاز، ولعلي أفرُغُ لحلِّ ما يمكن حلُّه منها، ولولا الاشتغالُ بما هو أجلُّ لنظرتُ فيها بتأمل وأناة. ونسألُ الله أن يَهدِيَنا لما هو أنفعُ في القربات، وأرفعُ في الدرجات.

فهرس الموضوعات